سلسلة الأصول بلا أصول 3

الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم

يقظة بعد موته والتلقي عنه

إعداد
محمد إسماعيل المقدم
عفا الله عنه

دار التوحيد للتراث
الإسكندرية

دار التوحيد للتراث
اسكندرية . الورديان
بجوار مسجدي
أبي بكر الصديق وناصر السنة

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

دار التوحيد للتراث
الإسكندرية

الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

رقم الإيداع:

جمهورية مصر العربية . الأسكندرية . الورديان .
بجوار مسجدي أبي بكر الصديق وناصر السنة
هاتف: ٠١٢٤٠٦٠٠٤٥ . ٠١١٤٠٤٥١٠٥

سلسلة الأصول بلا أصول

الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم

يقظة بعد موته والتلقي عنه

إعداد
محمد اسماعيل المقدم
عفا الله عنه

دار التوحيد للتراث
الإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة و السلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد

فمِن عبث الصوفية بمصادر التلقي، وعدوانهم على المرجعية الشرعية العليا، أنهم ادَّعَوْا أنه يمكن للخواصِّ أن يلقوا رسولَ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- حال اليقظة، وأن يَتَلَقَّوْا عنه أحكامًا شرعيَّةً ملزمة؛ مما فتح البابَ على مصراعيه للكذِبِ الفاحش على رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، وادِّعَاءِ إقراره وموافقته على كثير من الضلالات والبدع التي تَلَطَّخَ بها القوم.

وفي هذا البحث نسلط الضوء على ما استندوا إليه في تأييد دعواهم، ونناقشها في ضوء الأدلة النقلية والعقلية، ونبين خطورة هذه الدعوى، وأثرها في فتح باب تحريف الدين على مصراعيه، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الإسكندرية في الجمعة ٢٤ من ربيع الآخر ١٤٣١ هـ
الموافق ٩ من أبريل ٢٠١٠م.

دَعوَى رُؤيَةِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- يَقَظَةً بَعدَ وَفَاتِهِ، وَالتَّلَقِّي عَنهُ مُبَاشَرَةً (*)

«وكُلُّ مَنْ قَالَ إِنَّهُ رَأَى نَبِيًّا بِعَيْنِ رَأْسِهِ، فَمَا رَأَى إِلَّا خَيَالًا»[1]. شيخ الإسلام ابن تيمية

لقد استدرج الشيطان الصوفية إلى الغلو المذموم في رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- وذلك عبر خطوات يُسلم بعضها إلى بعض، ومن هذه الخطوات:

١- ما زعموه من خروج يده الشريفة -صلى الله عليه وسلم- من قبره ليقبلها الشيخ أحمد الرفاعي (ت٥٧٠هـ).

فقد ادَّعى أبو الهدى الصيادي الرفاعي[2] أن الشيخ أحمد الرفاعي لما حج، وقف تجاه الحجرة الشريفة، وأنشد:

في حالةِ البُعدِ روحي كنتُ أرسلُها ... تقبلُ الأرضَ عني وَهْيَ نائبتي
وهذه دولةُ الأشباحِ قد حَضَرَتْ ... فامدُدْ يمينَك كي تحظى بها شَفَتي

(*) قد استفدت كثيرًا من مواضع هذا البحث من ثلاثة مصادر رئيسة هي:
١- «مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني» للعلامة الشيخ محمد الخضر الجكني الشنقيطي.
٢- «التِّجانية» للشيخ علي بن محمد الدخيل الله.
٣- «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضًا ونقدًا» للدكتور صادق سليم صادق. علمًا بأن معظم الحواشي منقولة عن الأخيرين.

(١) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ص(١٣٨).
(٢) في كتابه: «قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر» ص(٦٧، ٦٨).

قال: «فخرجت إليه يده الشريفة من القبر، حتى قبَّلها، والناس ينظرون»[1].

ويشبه ذلك: ما ادعاه الصيادي في قوله: ولما حج الرفاعي عام وفاته، وزار قبر النبي -صلى الله عليه وسلم-...، أنشد قائلًا:

إن قيل: زرتم بما رجعتم ... يا أشرفَ الرُّسْلِ ما نقول

فخرج صوت من القبر سمعه كل من حضر، وهو يقول:

قولوا رجعنا بكل خيرٍ ... واجتمع الفرعُ والأصول[2]

٢- ثم تمادى الصوفية في التخبط، وساروا على نفس الدرب، ونسجوا على نفس المنوال، فأخذوا يختلقون القصص المشابهة: فذكروا أن إبراهيم الأعزب أنشد شعرًا عند قبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: «بارك اللَّه لك، أنت منظور بعين الرضا»[3].

---

(١) ومن أدلة بطلان هذه الأكذوبة أن أصحاب كتب وتراجم الصوفية كالسبكي والشعراني وابن الملقن وابن خلكان والمناوي؛ لم يذكروا هذه الحادثة مع أنهم أقرب إلى عصر الرفاعي من الصيادي المتأخر، وقد ذكر تاج الدين السبكي في فضائله: «رأفته على الهرة والبعوضة والجرادة والكلب» كما في «طبقات الشافعية الكبرى» له (٦/٢٣)، ولم يتعرض لذكر الحادثة المزعومة، وترجم ابن خلكان للرفاعي- وهو قريب العهد به- ولم يذكر حادثة تقبيل اليد، وكذا فعل الحافظ ابن كثير والحافظ الذهبي، أضف إلى ذلك أنه لم يكن من هديه -صلى الله عليه وسلم- في حياته أن يمد يده كي يقبلها من يسلم عليه.
أما رسالة «الشرف المحتم فيما مَنَّ اللَّه به على الرفاعي من تقبيل يد النبي صلى الله عليه وسلم» المنسوبة إلى السيوطي، فلا تصح نسبتها إليه، بل هي مقتبسة من كلام الصيادي في كتابيه «قلادة الجواهر»، و«ضوء الشمس»، وانظر بيان ذلك في «الرفاعية» للشيخ عبد الرحمن دمشقية ص(٤٩، ٥٠).
(٢) «قلادة الجواهر» ص(١٠٤)، و«ضوء الشمس في قول النبي: بُني الإسلام على خمس» (١/ ١٧٦)، والعجيب أنه هنا يخاطب النبي -صلى الله عليه وسلم- بالشعر، ويجيبه -صلى الله عليه وسلم- في زعمه- بالشعر، مع قول اللَّه تعالى في حقه -صلى الله عليه وسلم-: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ الآية [يس: ٦٩].
(٣) «ترياق المحبين» لتقي الدين الواسطي ص(٦٩).

وأن الشيخ عليًّا أبا الحسن الشاذلي استأذن في الدخول على رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة يقول: «يا علي! ادخل»[1].

وأن عبدالقادر الجزائري وقف تجاه القبر، وقال: «يا رسول اللَّه! عبدك ببابك، كلبك بأعتابك، نظرة منك تغنيني يا رسول اللَّه، عطفة منك تكفيني»، فقال له الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «أنت ولدي، ومقبول عندي بهذه السجعة المباركة»[2].

٣- ثم ترقوا إلى أبعد من ذلك، بادعاء أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يخرج من قبره، ويلتقي مشايخهم، وأنهم يرونه يقظة لا منامًا في الدنيا.

٤- ثم بلغ السيل الزبى حين اعتبروا التلقي المباشر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد موته من أوثق مصادر العلوم والمعارف.

وقد أُفعِمتْ، وأُترعتْ، كتبُ تراجم الصوفية؛ بحكاية ما تمَّ بينهم وبين النبي -صلى الله عليه وسلم-، من السؤالات، والمباحثات، والمصافحات، والمبايعات، وغيرها.

وهذا الأخذ والاستمداد، نصَّ عليه غير واحد منهم؛ كالغزالي، الذي

(١) «أبو الحسن الشاذلي» للدكتور عبد الحليم محمود ص(٧٩).

(٢) «جامع كرامات الأولياء» ليوسف بن إسماعيل النبهاني (٢/١٠٠)، ويا عجبًا! كيف يثني النبي -صلى الله عليه وسلم- على هذه «السجعة المباركة»، وقد وصَّى ابنُ عباس - رضي اللَّه عنهما - مولاه عكرمة، فقال: «فانظر السجع من الدعاء، فاجتنبه، فإني عهدتُ رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب». رواه البخاري (١١/١٣٨)، وترجم له: «باب ما يُكره من السجع في الدعاء».
وكان عروة بن الزبير إذا عُرِض عليه دعاءٌ فيه سجع منسوبًا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، قال: «كذبوا، لم يكن رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- ولا أصحابه سجَّاعين»، كما في «الحوادث والبدع» للطرطوشي ص(١٥٧).

يقول عن أرباب الأحوال: «. . . . حتى إنهم في يقظتهم: يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتًا، ويقتبسون منهم فوائد. . .»[1].

ومما أخبر به الشعراني؛ أن جماعةً باليمن، يُشغلون المريدَ، بالصلاة والسلام على النبي -صلى الله عليه وسلم-: «. . . . فلا يزال يُكثِر منها، حتى يصير يجتمع بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، يقظةً، ومشافهة، ويسأله عن وقائعه؛ كما يسأل المريدُ شيخه من الصوفية، وأن مريدهم يترقى بذلك في أيام قلائل؛ ويستغني عن جميع الأشياخ، بتربيته -صلى الله عليه وسلم-»[2].

ويقول عن نفسه: «فهو الشيخ الحقيقي لنا؛ بواسطة أشياخ الطريق، أو بلا واسطة؛ لمن صار من الأولياء يجتمع به في اليقظة، بالشروط المعروفة بين القوم. وقد أدركنا -بحمد الله- جماعةً من أهل هذا المقام. . .»[3].

وقال محمد بن العربي التجاني (ت: ١٣٠٩هـ) «. . . رؤيته -صلى الله عليه وسلم-، بعين الرأس، في عالم الحسِّ، وما يتبعها من الأخذ عنه، وسؤاله عمَّا يعرض، ومشاورته في الأمور، ونحو ذلك: كل ذلك ممكن عقلًا، ثابتٌ نقلًا. . .»[4].

وقال الكواكبي (ت: ١٠٩٦هـ): «وقد تواتر، أن كثيرًا . . . رآه -صلى الله عليه وسلم-، وأخذ عنه، واستفادوا منه»[5].

وقال أبو العباس المرسي: «طريقنا هذه هداية، وقد يجذب الله تعالى

(١) «المنقذ من الضلال» ص (١٤٠).

(٢) «الأنوار القدسية»، ص(١٩، ٢٠).

(٣) «الواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية»، ورقة (٢).

(٤) «بغية المستفيد لشرح منية المريد»، ص (٢١١).

(٥) فتوى حول حديث: «ما من أحدٍ يسلِّم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي»، ورقة (١).

العبدَ إليه؛ فلا يجعل عليه منَّةً لأستاذ، وقد يجمع شمله برسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ فيكون آخذًا عنه، . وكفى بهذا مِنَّةً. . . .»[1].

والأقوال في هذا الاجتماع اليقظي كثيرة؛ لا يمكن حصرها.

وللاجتماع اليقظي منزلةٌ عظيمة عندهم؛ ومما ورد في ذلك نظمًا قول بعضهم:

ومنه رؤية النبي الهادي وهي لديهم غاية المرادِ[2]

وقال الشعراني: وسمعت سيدي عليًّا الخواص -رحمه الله- يقول: «ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقظة ومشافهة»[3].

وقال صالح الجعفري (ت ١٣٩٩هـ): «. . . والنصر، والفتح؛ هو الاجتماع الأعظم به صلى الله عليه وسلم»[4].

وقال في «الدرة الخريدة»: «وأما الذي هو أفضل وأعز من دخول الجنة، فهو رؤية سيد الوجود -صلى الله عليه وسلم- في اليقظة، فيراه الولي اليوم كما يراه الصحابة -رضي الله عنهم- فهي أفضل من الجنة»[5].

وقال في «جواهر المعاني»: «قال -رضي الله عنه- أي شيخه أحمد التجاني مؤسس الطريقة المتوفى سنة (١٢٣٠هـ - ١٨١٥م): أخبرني سيد الوجود[6] يَقَظَةً لا منامًا، قال لي: أنت من الآمنين، ومن رآك من الآمنين إن

(١) «طبقات الشعراني» (١٣/٢).
(٢) «بغية المستفيد»، ص (٢٠٩).
(٣) «الواقح الأنوار القدسية» ورقة (١١)، وانظر: «رماح حزب الرحيم» (١٩٩/١).
(٤) «الإلهام النافع لكل قاصد» ص(٣٨).
(٥) «الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة» لمحمد فتحا بن عبد الواحد السوسي (٤٧/١).
(٦) انظر «المهدي» للمؤلف ص(٣٣٤).

مات على الإيمان. . . .» إلخ[1].

وقال الشعراني[2]: قال أبو المواهب الشاذلي: «رأيت رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، فقال لي عن نفسه: لستُ بميت، وإنما موتي تستري عمن لا يفقه عن اللَّه، فها أنا أراه ويراني»[3].

وقال: كان أبو المواهب كثير الرؤيا لرسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، وكان يقول: قلت لرسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: إن الناس يكذِّبونني في صحة رؤيتي لك، فقال رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-: «وعزة اللَّه وعظمته من لم يؤمن بها أو كذَّبك فيها لا يموت إلا يهوديًّا، أو نصرانيًّا، أو مجوسيًّا». وهذا منقول من خط الشيخ أبي المواهب[4].

وزعم بعض تلامذة خوجلي بن عبدالرحمن: «أن شيخهم يرى النبي -صلى الله عليه وسلم- كل يوم أربعًا وعشرين مرة، والرؤيا يقظة»[5].

وقال العلَّامة محمود شكري الألوسي- رحمه اللَّه تعالى- في سياق إنكار غلو الصوفية في حق النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ومن ذلك دعواهم لرؤياه -صلى الله عليه وسلم- بعد وفاته، فقد ادعاها غير واحد منهم، وادعوا أيضًا الأخذ منه يقظة، قال الشيخ سراج الدين ابن الملقن في «طبقات الأولياء» في ترجمة الشيخ خليفة بن موسى النهرملكي: كان كثير الرؤية

(١) «جواهر المعاني» لعلي حرازم (١٢٩/١)، وانظره (٣٠/١، ٣١)، (٢٢٨/٢).
(٢) عبدالوهاب بن أحمد الشعراني صاحب «الطبقات الكبرى» و«الصغرى» في تراجم الصوفية، و«الجواهر في عقائد الأكابر»، توفي سنة (٩٧٣هـ).
(٣) «الطبقات الكبرى» للشعراني (٦٩/٢).
(٤) «نفس المصدر» (٦٧/٢).
(٥) «الطبقات في خصوص الأولياء الصالحين والعلماء والشعراء في السودان» لمحمد النور بن ضيف اللَّه.

لرسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- يقظة ومنامًا، فكان يقال: إن أكثر أفعاله يتلقاه منه -صلى الله عليه وسلم- يقظة ومنامًا، ورآه في ليلة واحدة سبعَ عشرةَ مرة، قال له في إحداهن: يا خليفة! لا تضجر مني، فكثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتي..)[1].

❁ ❁ ❁

(١) «غاية الأماني في الرد على النبهاني» ص(٥٠، ٥١).

هل رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم -في زعم الصوفيَّة- كسبية أم وهبيَّة؟[1]

تشعبت الأقوال، بل تناقضت في بيان أسباب جلب هذه الرؤية اليقظيَّة، فالقوم ما بين مُعَسِّرٍ؛ يجعلُها أمرًا مَنيعَ المَطْلَب، وما بين مُيَسِّرٍ؛ يجعلها دانيةَ المُلْتَمَس؛ سَلِسَةَ المَنَال.

قال في (الجيش الكفيل)، ما نصُّه: «هو مقام عزيزٌ؛ لا يناله كلُّ أحد»[2].

وقال الشعراني: «... مقام مجالسة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عزيزٌ جدًّا»[3].

وقال نور الدين علي الحلبي (ت: ١٠٤٤هـ): «... ليس إلا لمن فاز من الله تعالى، بخصوصيات المواهب، وحاز جميع المناصب، وأعلى المراتب»[4].

وفي كتاب (الإبريز)، ما نصُّه: «... من ادعى أنه يرى النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظةً؛ قال العارفون بالله: لا تُقبل دعواه إلا ببيِّنة، وهو: أن يقطع ثلاثة آلاف مقام إلا مقامًا، ويُكلَّف بعدها ببيانها...»[5].

ونقل الشعراني عن شيخه، علي المرصفي (ت: ٩٣٠هـ): «أن على العبد حتى يصل إلى تحقيق هذه الرؤية اليقظيَّة: أن يقطع مائتي ألف مقام، وسبعة

(١) بتصرف من «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية» ص (٢٢٧- ٢٣١).
(٢) «الجيش الكفيل» ص (٤٦).
(٣) «لواقح الأنوار القدسية» ورقة (١١).
(٤) «الهدية الرشيدية» ورقة (٣٧، ٣٨).
(٥) «الإبريز» ص (٢٠٨).

وأربعين ألف مقام»[1].

فهذا اختلافهم في عدد المقامات التي يقطعها مريدُ تحقيق هذه الرؤية.

لكن الدَّباغ يجعلها من الأمور الوهبيَّة، لا الكسبيَّة؛ لا حيلة للعبد في جلبها أو دفعها[2]. فهذا وجهٌ آخر من الاختلاف.

ووجهٌ ثالث: وهو أن مقتضى الكلام السابق، عدم حصولها لغير الكاملين، ولا تصح إلا بعد قطع آلاف المقامات، وحيازة أعلى المراتب! لكن قال الدباغ بجواز حصولها لغير المفتوح عليه، وأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يأتي إليه؛ لمجرد علمه بكمال محبته له[3].

وعند الطريقة التجانية أن حُبَّ التجاني سبيل إلى حصولها؛ ففي كتاب (جواهر المعاني) أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال لأحد مريدي، ومحبي أحمد التجاني: «... لولا محبتك في التجاني: ما رأيتني قط...»[4].

وفي كتاب (معاهد التحقيق) أن من خصائص المنتسبين للطريقة الوفائية الفاسية الشاذلية: «أن المبتدِئ إذا دخل طريقتهم؛ بصدق طويَّة، وحسن سريرة: فإنه يجتمع بالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقظةً، من أول وهلة»[5].

فهؤلاء يجعلونها أمرًا ميسورًا، ولا يقصرونها على أرباب الأحوال، والكاملين من الصوفية، وهذا ما مال إليه ابن أبي جمرة؛ الذي يقول: «حصولها لأهل التوفيق؛ هو الأصل، ويبقى لغيرهم على طريق الرجاء؛

(١) انظر: «الواقح الأنوار القدسية» ورقة (١١).
(٢) انظر: «الإبريز» ص (٣٠٧، ٣٠٨).
(٣) انظر: «الإبريز»، ص (١٠١).
(٤) «جواهر المعاني» (٢/ ١٤٥).
(٥) ص(٧٩، ٨٠).

للجهل بعاقبتهم، فلعلَّهم ممن قد سبقت لهم سعادةٌ في الأزل؛ فلا يُقطَع عليهم باليأس من الخير»[1].

فمن وسائل جلب واستدعاء الرؤية اليقظيَّة لديهم: كثرة الصلاة والسلام على الرسول -صلى الله عليه وسلم- بلا تقييد بعدد[2]، وقد يكون ذلك مقيَّدًا بعدد معيَّن، كما نقل الشعراني عن أحمد الزواوي، أنه «لم يحصل له الاجتماع بالرسول -صلى الله عليه وسلم- يقظةً؛ حتى واظب على الصلاة عليه سنةً كاملة؛ يصلِّي كلَّ يوم وليلة عليه؛ خمسين ألف مرَّة»[3].

وكذلك: أخبره نور الدين الشوني (ت: ٩٤٤هـ) أنه «واظب عليها، كذا، وكذا سنةً، يصلِّي عليه كل يوم؛ ثلاثين ألف مرَّة»[4].

وزعم محمد عباس علوي المالكي، أن «من صلى على النبي -صلى الله عليه وسلم- في اليوم والليلة خمسمائة مرة؛ لا يموت حتى يجتمع به يقظةً»[5].

وقد يتحقق هذا الاجتماع اليقظيُّ، بالتزام صيغٍ معيَّنة، وأدعيةٍ مخصوصة؛ كقراءة (جوهرة الكمال) من أوراد التجانية[6]، أو بالصلاة عليه بالصلاة المسمَّاة (العظيميَّة)، من صيغ الطريقة الأحمدية الإدريسية[7]، أو بقراءة نظم

(١) «بهجة النفوس» (٤/ ٢٣٨).
(٢) انظر: «لواقح الأنوار القدسية»، ورقة (١٠)، «والأنوار القدسية»، ص (١٩، ٢٠)، «والهدية الرشيدية»، ورقة (٣٣)، «وهداية المشتاق الهيَّام إلى رؤيا النبي -عليه الصلاة والسلام» - ورقة (١).
(٣) انظر: «لواقح الأنوار القدسية»، ورقة (١٠، ١١).
(٤) انظر: «المصدر السابق»، ورقة (١٠، ١١).
(٥) انظر: «الذخائر المحمدية»، ص(١٠٧).
(٦) انظر: «جواهر المعاني» (٢/ ٢٥٥).
(٧) انظر: «الهدية الرشيدية»، ورقة (٣٣).

(البراق)، من منظومات الطريقة الختمية، وكذلك: قراءة (المولد) لهم أيضًا[1].

ومن ذلك: كثرة الصلاة عليه؛ سرًّا، وجهرًا؛ مُخلصًا؛ من غير مراء، ويكون ذلك بعد قراءة أم القرآن سبع مرات، وسورة الكوثر ألف مرة، ويداوم على ذلك ليلة الاثنين والجمعة؛ يفعل ذلك كلَّه: ألفَ مرة فأكثر، مع دوام التَّحبب إليه -صلى الله عليه وسلم- بالقلب[2].

ومن الشروط التي وضعها صالح الجعفري:

أ- إسباغ الوضوء؛ مراعيًا فضائله، مع استعمال السِّواك.

ب- صلاة ركعتين: يقرأ في الأولى بالفاتحة والنصر، وفي الثانية الفاتحة والإخلاص.

ج- تلاوة الاستغفار الصغير، سبعين مرة، والاستغفار الكبير، سبع مرات.

د- تلاوة الفاتحة لشيخك؛ وتشاهده بقلبك عن يمينك، ثم تشاهد الحضرة النبوية أمامك، ثم تتلو الصلاة (العظيمية) بقدر الاستطاعة، وتفتح عينيْ قلبك عند قولك: «تعظيمًا لحقِّك يا مولانا يا محمد، يا ذا الخُلُق العظيم»[3].

وأما الموانع التي تحول دون حصولها عندهم، فمنها: تكدُّر النفوس بالشهوات النفسانية، وانغماسها في علائق الزخارف الدنيويَّة، الفانية، الدنيَّة، وبُعْد المناسبة بيننا وبينه -صلى الله عليه وسلم-[4].

(١) انظر: «مناقب صاحب الراتب»، ص (١٠١).
(٢) انظر: «هداية المشتاق الهيَّام»، ورقة (١).
(٣) انظر: «الإلهام النافع»، ص (٥٤، ٥٥).
(٤) انظر: «فتوى حول حديث: ما من أحد يسلِّم عليَّ»، ورقة (١).

وأيضًا: فإن من كان على سريرة سيئة؛ يستحيي من ظهورها في الدنيا والآخرة؛ فإنه لا تصح له صحبة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولو كان على عبادة الثَّقَلَيْن[1].

وقال عبد الوهاب الشعراني: «وما منع الناسَ من رؤيته إلا غِلَظُ حجابِهم»[2].

ومن موانعها: مجالسة السلاطين؛ ففي كتاب (الطبقات الصغرى) للشعراني أن بعض أصحاب الجلال السيوطي، سأله أن يقضي له حاجة عند السلطان، فقال السيوطي: «يا أخي، إني أرى النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظةً، وأخاف أن أجالس السلطان... فيحتجب عني؛ عقوبةً لي...»[3].

وبيَّن صالح الجعفري، أنه مما ينبغي اجتنابه للظفر برؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظةً؛ أكل البصل النِّيئ، وأكل الثُّوم، والكراث، وكلِّ ذي رائحة كريهة، مع حلْقِ ما أُمر المسلم بحلْقه من الشعور، ونتف الإبط، وتقليم الظفر، وتطييب الجسم والثياب؛ بالمسك والطيب، مع بخور المستكي التركي! مع شيء من العود، أو عود النَّد!»[4].

(١) انظر: «الواقح الأنوار القدسية»، ورقة (١٥٧، ١٥٨).
(٢) «طبقات الشعراني» (٢/ ١٨٦).
(٣) «طبقات الشعراني الصغرى» ص(٢٩، ٣٠)
(٤) انظر: «الإلهام النافع»، ص (٥٥).

اضطراب الصوفية في اقتضاء رؤيته -صلى الله عليه وسلم- مرتبة الصُّحبة[1]

الرؤية اليقظية، بأي حالٍ وقعت عند البعض؛ لا تفيد الصحبة؛ أما على القول بأن المرئي مثال، أو الروح المتشكلة: فلا إشكال، وكذلك: لو كان المرئي روحه، وجسده، لكن رآه الرائي بقلبه.

والإشكال الذي حاولوا دفعه -وهو أن الرؤية اليقظية تستلزم الصحبة- يَرِدُ على القائلين: بوقوع الرؤية بعين البصر، لروحه وجسده -صلى الله عليه وسلم-.

وحاول من يذهب هذا المذهب، وينصره، التَّخلصَ من هذا الإيراد؛ بأن شَرْطَ الصُّحبة؛ أن يراه الرائي، وهو في عالم المُلك، وهذه الرؤية -المراد دفع الإشكال عنها- واقعة في عالم الملكوت؛ يعني: عالم اللطافة والغيب، لا في عالم الحس والشهادة[2].

ولكن هذه الرؤية تقتضي عند البعض؛ الصحبة، بل حيازة مرتبتها. قال ابن عربي: «... ومن كان من الصالحين؛ ممن كان له حديث مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في كشفه، وصَحِبَه في عالم الكشف والشهود، وأخذ عنه: حُشر معه يوم القيامة، وكان من الصحابة الذين صحبوه في أشرف المواطن»[3].

وقال الدباغ: «...فيراه الولي اليوم، كما رآه الصحابة -رضي الله عنهم-»[4].

(١) من «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية» ص (١٥٧)، (١٥٨) باختصار.
(٢) انظر: «تنوير الحلك» (٢/ ٤٨٧)، و«بغية المستفيد»، ص (٢١٣)، «والفتاوى الحديثية»، ص(٢١٣) لابن حجر المكي.
(٣) «الفتوحات المكية» (٣/ ٥٠).
(٤) «الإبريز»، ص (٣١٠).

وقال أحمد الزواوي: «إن طريقنا أن نُكثر من الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-، حتى يصير يجالسنا يقظةً، ونصحبه مثل الصحابة»[1].

وقال عمر الفوتي الطوري التجاني: «... وأوصيك يا صَفِي بدوام ملاحظة صورته ومعناه... فعن قريب تألف روحك؛ فيحضرك -صلى الله عليه وسلم- عِيانًا، وتحادِثُه، وتخاطبه؛ فيجيبك، ويحدِّثك، ويخاطبك؛ فتفوز بدرجة الصحابة، وتلحق بهم -إن شاء الله-»[2].

(١) «لواقح الأنوار القدسية»، ورقة (١٥٧).
(٢) «رماح حزب الرحيم» (١/ ٢٣٤).

ذكر أدلة الصوفية ومناقشتها

الـدَّلـيـلُ الأَوَّلُ

عُمدة ما يستدل به الصوفية -لاسيما الفرقة التجانية- على إمكان رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا: الحديث الذي رواه أبوهريرة - رضي اللَّه عنه - قال: سمعت رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- يقول: «**مَنْ رآني فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي**»[1]، قالوا: فالحديث صريح في رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يَقَظَةً بعد موته في الدنيا، قال ابن أبي جمرة: «ودعوى الخصوص بغير مخصِّص منه - عليه السلام - تَعَسُّفٌ»[2].

وقد أبطل المحققون هذا الاستدلالَ من عدة وجوه:

---

(١) رواه البخاري (٣٨٣/١٢- فتح)، رقم (٦٩٩٣)، واللفظ له، ومسلم (٢٦/١٥- شرح النووي)، وأبو داود(٣٦٦/١٣- عون).

(٢) «رماح حزب الرحيم» (٢٠٥/١)، وأقره السيوطي في «تنوير الحلك»، واستدل بهذا الحديث أيضًا ابنُ حجر المكي في «الفتاوى الحديثية» ص(٢١٢)، وقولُ ابن أبي جمرة المذكور مردود بأن الحديث ليس نصًّا صريحًا في رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا، ولا في الآخرة، فتخصيصه بالدنيا بغير مخصص تعسف - أيضًا - لكن لما كان تأويله برؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا مخالفًا للشرع والعقل؛ حمله جمهور العلماء على رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة في الآخرة، واللَّه أعلم.

الوجه الأول

بيان أن رواية «فسيراني في اليقظة» مشكِلة لمخالفتها لفظَ الجمهور

فمن حيث لفظ الرواية:

(١) جاء الحديث من عدة طرق عن أبي هريرة إحداهن باللفظ المذكور آنفًا: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي»، وأما سائر الطرق:

ففي إحداهن: «ومَن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل صورتي»[1].

وفي الثانية: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي»[2].

والثالثة[3] **الرابعة**[4] مثل الثانية.

وفي الخامسة: «من رآني في المنام فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتشبه بي»[5].

---

(١) رواه من طريق أبي صالح ذكوان السمان عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا: البخاري رقم (٦١٩٧)، والإمام أحمد (٤٠٠/١)، (٤٦٣/٢).

(٢) رواه من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا: مسلم في «صحيحه» (٢٤/١٥- نووي)، والإمام أحمد (٤١١/٢، ٤٧٢).

(٣) رواه من طريق العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا: ابن ماجه رقم (٣٩٠١).

(٤) رواه من طريق عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا: الإمام أحمد (٢٣٢/٢، ٣٤٢).

(٥) رواه من طريق محمد بن عمرو بن علقمة الليثي عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا: الإمام أحمد (٢٦١/٢).

وفي رواية بالشك: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، أو: فكأنما رآني في اليقظة، لا يتمثل الشيطان بي»[1].

(ب) وقد جاء الحديث عن جمع من الصحابة -رضي الله عنهم- غير أبي هريرة - رضي اللَّه عنه- وألفاظها جميعًا متقاربة لكنها تخالف الروايةَ المشكِلة بلفظ: «فسيراني في اليقظة»، وهاك بيانَها:

اللفظ الأول:

رواه أنس بن مالك، وجابر بن عبداللَّه، وأبو سعيد الخدري، وابن عباس، وابن مسعود، وأبو جحيفة -رضي الله عنهم- مرفوعًا: «من رآني في المنام فقد رآني»[2].

اللفظ الثاني:

رواه أبو قتادة، وأبو سعيد الخدري -رضي الله عنهما- مرفوعًا: «من رآني فقد رأى الحق»[3].

اللفظ الثالث:

رواه جابر - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا: «من رآني في النوم فقد رآني».

فظهر من هذين الوجهين أن الرواية التي استدل بها القوم جاءت مخالفة لجميع ألفاظ مَن روى هذا الحديثَ مِن أصحاب أبي هريرة عنه - رضي اللَّه عنه -، بل جاءت مخالفة لجميع ألفاظ مَن روى هذا الحديث مِن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-.

---

(١) رواه من طريق محمد بن شهاب الزهري عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - مرفوعًا: الإمام أحمد (٣٠٦/٥)، وقد اختُلف على الزهري في لفظ الحديث.

(٢) انظر: «صحيح البخاري» رقم (٦٩٩٤)، و«سنن ابن ماجه» رقم (٣٩٠٢)، (٣٩٠٣)، (٣٩٠٥)، و«سنن الترمذي» (٢٣٨/٣)، (٣٩٠٤).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» رقم (٦٩٩٦)، (٦٩٩٧)، و«صحيح مسلم» (٢٦/١٥- نووي).

الوجه الثاني

تأويل العلماء للرواية المشكِلة

ونتيجة لهذا الاختلاف حَكَمَ العلماء بأن لفظ: «فسيراني في اليقظة» مشكِل، ومِن ثَمَّ أخذوا يتأولونه، ويذكرون له أجوبة كي يتوافق مع روايات الجمهور، وأولوه على عدة تأويلات على النحو التالي:

الأول: قال ابن التين: «المراد به من آمن به في حياته ولم يره؛ لكونه حينئذ غائبًا عنه[1]، فيكون بهذا مُبَشِّرًا لكل من آمن به، ولم يره، أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته[2]، والمعنى: أن اللَّه سيوفقه للهجرة إليه، والتشرف بلقائه في حياته، ويكون اللَّه - تَعَالَى - جعل رؤيته في المنام علامةً على رؤيته في اليقظة.

الثاني: وقال ابن بَطَّالٍ: معناه: سيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة وصحتها، وخروجها على الوجه الحق[3].

الثالث: وقيل: إنه على التشبيه والتمثيل، ويدل على ذلك قوله في الرواية الثانية: «فَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ»[4].

الرابع: وقيل المعني أنه يراه يَقَظَةً يوم القيامة، بمزيد خصوصية، لا مطلق من يراه حينئذ، مِمَّن لم يره في المنام، وفي هذا بِشَارَةٌ لرائيه؛ بأنه يموت

---

(١) أي لأنه لم يكن هاجر في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

(٢) «فتح الباري» (٣٨٥/١٢)، وعُلِّق الحمل على هذا الوجه إن كانت رواية «فسيراني في اليقظة» محفوظة.

(٣) «نفس المرجع» (٣٨٥/١٢)، و«شرح المواهب اللدنية» للزرقاني (٢٩٣/٥).

(٤) «نفسه» (٣٨٥/١٢).

على الإسلام، لأنه لا يراه تلك الرؤية الخاصة باعتبار القرب، إلا من تَحَقَّقَ موتُه على الإسلام، وهذا أقوى الأجوبة وأحسنها[1].

الخامس: أنه يراه في المرآة التي كانت له إن أمكنه ذلك، وهو قول ابن أبي جمرة، قال في «الفتح»: «وهذا من أبعد المحامل»[2].

وورد في ذلك أثر عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه «رأى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في النوم، ثم لما نظر في مرآة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- رأى صورة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ولم ير صورة نفسه».

وليس لهذا الأثر سند يُعرف، حتى إن السيوطي، وابن حجر العسقلاني -مع سعة اطلاعهما- اقتصرا على عزوه إلى ابن أبي جمرة، مما يؤكد أن هذا الأثر لا أصل له.

ولو صَحَّ -جدلًا- لكان لا علاقة له بالمسألة محل النزاع، وهي: رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- بروحه وجسده، يقظة في عالَم الحِس، بعيني الرأس، بعد وفاته -صلى الله عليه وسلم-، ورؤيتُه -صلى الله عليه وسلم- في المرآة ليست من هذا الجنس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «قال الفقهاء: لو حلف: لا رأيتُ زيدًا، فرأى صورته في ماء، أو مرآة، لم يحنث، لأن ذلك ليس هو المفهوم من مطلق الرؤية، وهذا في الرؤية كسماع الصدى في السمع» اهـ[3].

---

(١) انظر: «فتح الباري» (٣٨٥/١٢)، وهو معنى قول القاضي عياض، وقد نصره الشيخ محمد الخضر الشنقيطي في «مشتهى الخارف الجاني»، ص (٩٣)، ونسبه الزرقاني في «شرح المواهب اللدنية» (٣٤٦/١، ٣٤٧) إلى الدماميني.

(٢) «فتح الباري» (٣٨٥/١٢).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٦٣٨/١١).

السادس: أنه يراه حقيقة في الدنيا، ويخاطبه[1].

وهذا الاحتمال الأخير باطل[2]، ودعوى يُزيِّفها أدلة النقل والعقل معًا، كما سيأتي -إن شاء الله- تعالى-.

❁ ❁ ❁

---

(١) «فتح الباري» (٣٨٥/١٢).

(٢) انظر: «مشتهى الخارف الجاني» ص(٩٥).

الوجهُ الثالثُ

ذِكر الأدلة على استحالة لقيا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا

أولًا: الأدلة النقلية:

إن النبي -صلى الله عليه وسلم- قد مات؛ فادعاء حياته بعد موته -صلى الله عليه وسلم- قبل يوم القيامة مستحيلٌ شرعًا؛ لأنه يلزم منه مخالفته لقوله - تَعَالَى -: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وقال الألوسي - رحمه اللَّه تعالى -: «ويكفي في إبطال هذا القول قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، فإذا أمسك التي قضى عليها فمن أين لها التمكن من التصرف؟ ومن أين لأحدٍ أن يراها؟»[1].

ومن النصوص القرآنية أيضًا قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠] وهو صريح في نفي رجوع أحد من الأموات قبل يوم القيامة، وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥٠، ٥١].

وقال الصنعاني - رحمه اللَّه - تَعَالَى -: «والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمعلوم من الضرورة الدينية، أنَّ من وَارَاهُ القبر لا يخرج منه إلا في المحشر، قال اللَّه - تَعَالَى -: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]، ولم يقل: تَارَاتٍ أُخَرَ، وقال - تَعَالَى -: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١، ٢٢]، وقال اللَّه - تَعَالَى -: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس: ٣١].

---

(١) «غاية الأماني في الرد على النبهاني» (٥٢/١).

وأما الأحاديث النبوية فإنها متواترة: أن من أُدْخِلَ قبره لا يخرج منه إلا عند النفخة الثانية في الصور... وبالجملة، فالقول بخروج الميت من قبره، وبروزه بشخصه لقضاء أغراض الأحياء - قولٌ مخالف للعقل والنقل»[1].

ولا يَرِدُ على ذلك أن الأنبياء أحياء في قبورهم، وكذلك الشهداء[2]، ولا ما ورد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من أنه تُرَدُّ عليه روحه حتى يَرُدَّ السلام على من سَلَّمَ عليه[3]، فإن تلك حياة برزخية تختلف عن هذه الحياة؛ ولذا يُقْتَصَرُ في شأنها على ما ورد في النصوص[4]، ثم إنه يلزم من ذلك: أن يُطَالَبُوا بالتكاليف، وأن يخرجوا ليجاهدوا أعداء اللَّه، واللازم باطل، وإذا بطل اللازم بطل الملزوم.

إذن لم يثبت بدليل شرعي حصولُ رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته -صلى الله عليه وسلم-، بل الأدلة تدل على استحالة ذلك شرعًا، وغاية ما دلت عليه النصوص إمكانية الرؤيا المنامية، ورواية الجمهور للحديث المذكور في صدر الكلام تؤكد ترجيح ألفاظها على اللفظ المشكل الذي فيه: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة»، فهذه الرواية فيها تعليق الجواب على الشرط، وذلك يستلزم أن من رآه -صلى الله عليه وسلم- في

---

(١) «الإنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف» للصنعاني ص (٥١).

(٢) وقد أجاد الردَّ على هذه الشبهة وأمثالِها وفصَّل القول فيها الإمامُ المحقق ابن قيم الجوزية، فانظر: «شرح القصيدة النونية» للعلامة الدكتور محمد خليل هراس -رحمه الله تعالى- الجزء الثاني، ص (٦ : ٢١)، و«صيانة الإنسان» للسهسواني ص(٥١)، و«الحاوي» للسيوطي (٣٧٥/٢).

(٣) رواه أبو داود، وسكت عنه، «سنن أبي داود» (٢٦/٦- عون)، والإمام أحمد في «مسنده» (٥٢٧/٢)، وصحح ابن القيم إسناده، كما في «عون المعبود» (٣٠/٦).

(٤) انظر تفصيل ذلك في: «أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور» لابن رجب الحنبلي ص (٧٩، ٨٠)، و«الصارم المنكي في الرد على السبكي» لابن عبد الهادي ص (٢١٣)، (٢١٦)، (٢٧٠)، و«فتح الباري» (٢٩٧/٧).

المنام يراه في اليقظة، وهذا مخالف للحس والواقع، فقد رآه - صلى الله عليه وآله وسلم- جمعٌ كثير من سلف الأمة وخَلفها في المنام، ولم يذكر أحد منهم أنه رآه -صلى الله عليه وسلم- في اليقظة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ومعلوم أن خبر الصادق المصدوق -صلى الله عليه وسلم- لا يتخلف أبدًا[1]، فدل هذا على مرجوحية اللفظ المشكِل ووجوب تأويله.

ثانيًا: الأدلة العقلية:

تُحيل أدلة العقل إمكان الاجتماع اليقظي المذكور، قال أبو سعيد الخادمي -رحمه الله- في كتابه «بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية»:

«رؤية شخصه -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعين الرأس، بعد موته.. غير ممكن، [وهذا] عقلي؛ إذ الموتى ما داموا كذلك[2]؛ لا يتصور منهم ذلك»[3] اهـ.

وقال الزرقاني -رحمه الله-: «وبالجملة: فالقول برؤيته -صلى الله عليه وسلم- بعد موته، بعين الرأس في اليقظة يُدرَك فسادُه بأوائل العقول» اهـ[4].

وفصَّل الإمامُ القرطبي، فقال -رحمه اللَّه-: «اختُلِف في معنى الحديث، فقال قوم: هو على ظاهره، فمن رآه في النوم رأى حقيقته كمن رآه في اليقظة سواء، وهذا قولٌ يُدرَك فسادُه بأوائل العقول، ويلزم عليه: أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها.

- وأن لا يراه رائيان في آنٍ واحدٍ في مكانين.

---

(١) انظر: «فتح الباري» (١٢/٣٨٥).

(٢) أي: ما داموا موتى.

(٣) «بريقة محمودية» (١/١٠٣) بتصرف.

(٤) «شرح المواهب اللدنية» (٥/٣٥٩).

- وأن يحيا الآن، ويخرج من قبره، ويمشي في الأسواق، ويخاطب الناس، ويخاطبوه، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده، فلا يبقى في قبره منه شيء، فيُزَارُ مجردُ القبر، ويُسلَّمُ على غائب[1]؛ لأنه جائز أن يُرَى في الليل والنهار، مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مُسْكَةٍ من عقل»[2] اهـ.

واعتُرِض على هذا بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- يمكن أن يراه شخصان في مكانين مختلفين في وقت واحد، كما تُرى الشمس أو القمر في أماكنَ متعددةٍ في آنٍ واحدٍ من جماعة كثيرين، وأنشد بعضهم:

كالشمس في كبد السماء وضوءها ... يغشى البلادَ مشارِقًا ومغاربا[3]

وأجيب عن هذا الاعتراض بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بَشَرٌ كان يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، ولم يكن له حجم الشمس وارتفاعها، حتى يمكن أن يراه جمع كثير في وقت واحد، ثم إن النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا كان في بيته لا يراه إلا من كان معه في البيت، دون من كان خارجه، وكذلك الشمس؛ فإنها لو رُئِيَتْ فرضًا داخل بيتٍ في جِرْمِها، لاستحال رؤية جرمها في بيت آخر[4].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: «الصارم المنكي» ص(٢١٦).

(٢) نقله عنه في «شرح المواهب اللدنية» (٥/٢٩٣).

(٣) «غاية الأماني» (١/٥٢).

(٤) «شرح الزرقاني» (٥/٢٩٥).

الوجه الرابع

اضطراب مذاهب القوم
في شأن رؤيته صلى الله عليه وسلم[1]

بعد جنوحهم إلى الاعتقاد في «الاجتماع اليقظي» بالنبي -صلى الله عليه وسلم- سار اختلافهم في شأنه أبعد مسير، وتشعبت أقوالهم، وتناقضت:-

- فاختلفوا: هل هذه الرؤية اليقظية وهبية أم كسبية؟

- واختلف الذين قالوا: كسبية، فمن قائل: «إنها سهلة المنال، قريبة ميسورة»، ومن قائل: «بل هي عزيزة المنال، لا تُنال إلا بقطع مقامات معينة».

- ثم اختلفوا: في عدد هذه المقامات، واختلفوا في عَدِّ أسباب استدعائها، وشرائط حصولها، وموانع ذلك.

- واختلفوا: هل تقتضي ثبوتَ الصحبة للرائي أم لا؟

وقد ذكرنا هذه الاختلافات بالتفصيل فيما سبق[2].

واختلفوا في تحقيق حقيقة المرئي: أهو الروح والجسد؟ أم الروح المتشكلة بصورة البدن الشريف؟ أم أنه مثال له؟ أم أمثلة متعددة؟ أم نوره الشريف بصورة جسمه الكريم -صلى الله عليه وسلم؟ أم أنه روحه الشريفة متشكلة بصورته الشريفة، ثم يرتقي الحال بالرائي إلى رؤية حقيقة ذاته الشريفة؟

- ومنهم من زعم أن له -صلى الله عليه وسلم- مقدرةً على التشكل والظهور في صور مشايخ الصوفية[3].

---

(١) انظر تفصيل ذلك في «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية» ص(١٥٢-١٥٧).

(٢) راجع ص (١٣-١٨).

(٣) «الإنسان الكامل» لعبد الكريم الجيلي (٢/٧٤، ٧٥).

ومنهم من أخذته العزة بالإثم، فنفي الموت عنه -صلى الله عليه وسلم-، وزعم أن موته -صلى الله عليه وسلم- هو تستره عمن لا يفقه عن الله[1].

واختلفوا: بم تقع الرؤية؟ فمن قائل: «بالقلب لا بالبصر»، ومن قائل: «بالقلب أولًا، ثم يترقى السالك إلى أن يراه بعين البصر»، ومن قائل: «تارة بالوجدان، وتارة بالعيان».

واختلفوا: هل هي واقعة في عالم المُلك، أو الملكوت؟

- واختلفوا: فمن قائل: إنها تقع في اليقظة، ومن قائل: في النوم، ومن قائل: في حالة بين النائم واليقظان[2].

وبناءً على ما تقدم:

«فقد ظهر تفرد تلك الرواية التي استدل بها القوم عن روايات الجمهور، وتلك الاحتمالات التي تأولها أهل العلم في المراد بمعناها، وتلك الإشكالات والإنكارات التي وردت على المعنى الذي قصده القوم، واضطراب مقالاتهم في كيفية تلك الرؤية، وعليه يسقط استدلالهم بها، والقاعدة المشهورة في ذلك: إذا ورد على الدليل الاحتمال؛ بطل به الاستدلال»[3].

وعلى فرض احتمال أن تكون الرؤية اليقظية في الدنيا، فإن المنهج العلمي الذي يفحص القضية من جميع جوانبها يُسقط اعتبار هذا الاحتمال؛ لأن من القواعد الأصولية أن الدَّلِيلِ إِذَا تَطَرَّقَ إِلَيهِ الاحْتِمَالُ بَطَلَ بِهِ الاسْتِدْلَالُ، فكيف إذا كان هذا الاحتمال ينقضه نفسُ الحديث، ويرده الشرع والعقل؟!

---

(١) «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/٦٩).

(٢) «الطبقات الصغرى» للشعراني ص (٨٩).

(٣) بنصه من: «خصائص المصطفى -صلى الله عليه وسلم- بين الغلو والجفاء» للدكتور الصادق بن محمد بن إبراهيم ص(١٩١، ١٩٢) بتصرف.

الدليل الثاني

استدلالهم بعموم قدرة الله - عز وجل-

قال في «رماح حزب الرحيم»: «إن رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- داخلة تحت قدرة اللَّه - تَعَالَى - فالمنكِر لها منكِرٌ لقدرة اللَّه على ذلك، ومن أنكر قدرة اللَّه؛ فقد كفر، واللَّه- سبحانه وتعالى - الذي أحيا الميت ببعض البقرة: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [البقرة: ٧٣]، والذي جعل دعاء إبراهيم سببًا لإحياء الطيور: ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وجعل تعجب العُزَيْرِ سببًا لموته وموت حماره، ثم لإحيائهما بعد مئة سنة، قادر على أن يجعل رؤيته -صلى الله عليه وسلم- في النوم سببًا لرؤيته في اليقظة»[1]. اهـ ملخصًا.

وقال محمد الحافظ التجاني[2]: «وأصل الاجتماع الروحي اجتماع النبي -صلى الله عليه وسلم- ليلة الإسراء بالأنبياء - عليهم السلام - وهم في الدار الآخرة، وكان الكليم سيدنا موسى - عليه السلام - سببًا في تخفيف الصلوات عن هذه الأمة، وهو في الدار الآخرة، وصح أن سيدنا أبا بكر الصديق - رضي اللَّه عنه - أنفذ وصية ثابت بن قيس بن شماس، وقد أوصى بها بعد استشهاده»[3].

---

(١) «رماح حزب الرحيم» (٢٠٥/١)، و«بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها» لابن أبي جمرة (٢٣٧/٤، ٢٣٨).

(٢) محمد بن عبد اللطيف بن سالم الشريف الحسني التِّجاني المصري (ت١٣٩٨هـ) من أشهر دعاة التجانية، ترك مؤلفات كثيرة، وكان مهتمًّا بعلوم الحديث الشريف، وقد أسس مجلة «طريق الحق» الناطقة بلسان التجانيين سنة (١٣٧٠هـ- ١٩٥٠م).

(٣) انظر الجواب عنه في «الموافقات» (٤٥٧/٢) وما بعدها، وكتابي «حجية الرؤى وسلطان المنامات» ص (٩٠، ٩١).

فقد أخرج الحاكم في «المستدرك» عن ثابت عن أنس: «أن ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة، وقد تحنط، ولبس أكفانه، وقد انهزم أصحابه، وقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، فبئس ما عودتم أقرانكم، خلوا بيننا وبين أقراننا ساعة)، ثم حَمَلَ فقاتل ساعة، فقُتل، وكانت درعه قد سُرقت، فرآه رجل فيما يرى النائم، فقال: إن درعي في قِدْرٍ تحت إكافٍ[1] بمكان كذا وكذا، وأوصى بوصايا، فطُلِب الدرع، فوُجِدَ حيث قال، فأنفذوا وصيته»[2].

وعن مسلم أبي سعيد مولي عثمان بن عفان: أن عثمان - رضي اللَّه عنه - أعتق عشرين عبدًا مملوكًا، ودعا بسراويل، فشدها عليه - ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام - وقال: «إني رأيت رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- البارحة في المنام، وأبا بكر، وعمر، فقالوا لي: اصبر! فإنك تفطر عندنا القابلة»، ثم دعا بمصحف فنشره بين يديه فَقُتِلَ، وهو بين يديه[3].

وقال محمد الحافظ: «وهذا يثبت أن روح الحي تجتمع بأرواح الأموات في النوم، والذي يجمعهم في النوم يجمعهم في اليقظة، والجميع في العلم تحت سلطانه».

❁ ❁ ❁

---

(١) الإكاف: البَرْذَعة.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٣٥/٣)، وقال: «صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع»: «ورواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح» (٣٢٢/٩)، وانظر: «حجية الرؤى وسلطان المنامات» للمؤلف ص (٩٠) هامش رقم (١).

(٣) انظر: ص (٤٩، ٥٠).

الجواب عن هذا الاستدلال

ليس كلُّ مُمكنٍ يقعُ في الوجود

١- إن هذا الرد يلزمنا لو كنا نستدل على عدم إمكان الرؤية يقظة باستبعاد قدرة الله على ذلك، معاذ اللَّه! والذين ينكرون رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا هم مِن أعلم الناس بقدرة اللَّه - تَعَالَى -: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، فاللَّه - تَعَالَى - قادر على أن يجعل عباده كلَّهم مؤمنين: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، كما أنه قادر على أن يجعل المبتدع سنيًّا متبعًا، ولكن هكذا شاء اللَّه - عزَّ وجلَّ -: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

فمن اعتقد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يُرى يقظة بعد موته في الدنيا، فقد بنى ذلك على أن هذه المسألة من المسائل الاعتقادية - لا أنه منكر لقدرة اللَّه - والأصل في الأمور الاعتقادية الحظر، حتى يرد دليل يرفع هذا الحظر، وليس هناك دليل شرعي معتبر يرفع هذا الحظر، بل دلَّ الشرع والعقل على خلاف ذلك.

٢- إن قدرة اللَّه - تَعَالَى - متعلقة بكل شيء؛ إذ هو القادر على كل شيء - سبحانه - فلا تلازمَ إذن بين قدرة اللَّه - تَعَالَى - وبين رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا؛ إذ لو قلنا بذلك، للزم من هذا القولِ إباحةُ جميع المحرمات، وتحريمُ جميع المباحات، وإلغاء جميع الشرائع، وإفساد العباد والبلاد؛ لأنَّ اللَّه قادر على ذلك جميعًا، فمن الممكن أن نبيح الفاحشة؛ لأن إباحتها داخلة تحت قدرة اللَّه، ومن الممكن

أن نحرم الصلاة؛ لأن تحريمها داخل تحت قدرة اللَّه، فإذا بطل اللازم بطل الملزوم، واللَّه أعلم.

٣- إن رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا قد أنكرها جمع غفير من العلماء والأئمة؛ كابن حجر العسقلاني، وأبي بكر بن العربي، وابن تيمية، والألوسي، وغيرهم، فهل معنى هذا أنهم يجهلون قدرة اللَّه - عزَّ وجلَّ -؟! ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: الآية ١٦].

٤- إن ما استدل به «محمد الحافظ» من إمكان رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا، قياسًا على رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- للأنبياء ليلة الإسراء يقظة في الدنيا؛ **لا يصح، وبيان ذلك:**

أ - أن الإسراء والمعراج كانا معجزة للنبي -صلى الله عليه وسلم- خاصة لا يقاس عليها غيرها.

ب - أن رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا أمر من أمور الاعتقاد لا يجوز فيها القياس؛ لأنها توقيفية.

٥- أن كل ما ذكره من الآثار فغاية ما فيها رؤى منامية، وهذه ثابتة للنبي - صلى الله عليه وسلم- ولسائر أُمته في الأحاديث الصحيحة، والنزاع في اليقظة لا في المنام.

٦- قوله: «...وهذا يثبت أن روح الحي تجتمع بأرواح الأموات في النوم، والذي يجمعهم في النوم يجمعهم في اليقظة، والجميع في العالَم تحت سلطانه».

يُجاب عنه من وجهين:

أ - أن هذا القياس لا يصح؛ لأن الرؤية في النوم قد جاءت بذكرها الأحاديث الصحيحة بخلاف رؤية اليقظة؛ فقد دل الشرع والعقل على

خلافها، فلا يصح قياس ما دلَّ الدليل علي منعه على ما دل الدليل على إثباته.

ب - أن قوله: «. . . والذي يجمعهم في النوم يجمعهم في اليقظة، والجميع في العالم تحت سلطانه» غاية ما فيه الاستدلال بعموم قدرة اللَّه - تَعَالَى -، وقد سبق الجواب عنه، ونزيد ما قاله الدكتور صادق سليم صادق[1] -حفظه الله تعالى-:

«وأما إسناد جواز وقوعها إلى القُدرة الإلهية، ومُنْكِرُها يلزمه تعجيز قدرة الباري، والجهل بها، إلى آخر ما قال: فتهويشٌ، الغرضُ منه: منع المخاصم من التَّجاسر بإنكار هذه الرؤية، وليس هذا التهويش بنافقٍ إلا في سوق من يخشى العطبَ على نفسه من أوليائهم المزعومين، ولقائلٍ أن يقلب عليهم الدليل عينَه، ليكون كالآتي: أليس الله -عز وجل- بقادر على منع وقوع هذه الرؤية اليقظية؟ فإن قالوا: بلى! ولا بُدَّ لهم من هذا الجواب، فهل يترتَّب عليه عدم إقرارهم بحصولها، مع أننا أسندنا المنع إلى القدرة، كما أنهم أسندوا التجويز إليها أيضًا؟ فإن أجابوا: بأن الرؤية اليقظية حاصلة، ولا يلزم ما ذكرتموه: كان هذا عين جوابنا عمَّا هوَّلوا به.

وبه: يتبيَّن أن الإحالة على مجرد القدرة الإلهية؛ لا تغني شيئًا؛ فضلًا عن أن يُتهم مُنكر الرؤية اليقظية بتعجيز قدرة الباري.

ولاشك أن الله على كل شيءٍ قدير، ولا شيء يُعْجِزُه، وهو قادرٌ على إحياء جميع الموتى قبل يوم القيامة، ولكن القول بوقوع شيء من هذا، لا يُكتفى فيه بإسناده إلى مجرَّد القدرة، بلا لا بُدَّ من إثبات تعلُّق الإرادة الإلهية بالأمر المُعيَّن.

---

(١) «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية» ص (٢٩٠، ٢٩١).

وقد تشبَّثَ عُبَّادُ الموتى بهذه الحجة الواهية؛ فقالوا: إن الله تعالى، قادرٌ على الإذن لأرواح المشايخ بالتَّصرف؛ بنفع الأحياء، وقضاء حوائجهم، مع كونهم في البرزخ!!.

وأما استدلالهم عليها -أعني الرؤية اليقظية- بالتجويز العقلي، فباطلٌ؛ للآتي:

أولًا: لو سلَّمنا بتجويز العقل لها؛ فهذا مشروطٌ بسلامته من المعارض الشرعي والعقلي، فكيف يُسلَّم بذلك، وقد تقدَّم أن الشرع والعقل يزيِّفان هذه الدعوى ويبطلانها؟

ثانيًا: أن المرد عند التنازع هو إلى الكتاب والسنة، لا إلى العقل؛ الذي هو تابعٌ لهما.

ثالثًا: مجرد الإمكان والتجويز العقلي، ليس بحجة. قال الشيخ محمد بشير السهسواني: «ومجرد الإمكان العقلي؛ لا يغني من شيء»[1].

رابعًا: أن العقل قد يخطئ في بعض أحكامه؛ بخلاف الشرع. قال الإمام ابن القيم: . . . فليس كل ما يحكم به العقل؛ يكون علْمًا، بل قد يكون ظنًّا، أو وهمًا كاذبًا، كما أن ما يدركه السمعُ والبصرُ؛ كذلك. . . .»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) صيانة الإنسان» ص(٤٠).

(٢) «مختصر الصواعق المرسلة» (٩٣/١).

الدليل الثالث

استدلالهم بحياة الأنبياء -عليهم السلام- في قبورهم ودعوى مفارقتهم لها في الدنيا

احتج الصوفية على لقيا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته ببعض النصوص التي أثبتت حياة الأنبياء -عليهم السلام- في قبورهم، ومِن ثَمَّ أثبتوا لهم الإدراكات، باعتبار ثبوت هذه الحياة، وهاك بعضَها مشفوعةً بالجواب عنها:

أولًا: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. قالوا: الآية تثبت حياة الأنبياء بطريق الأولى[(١)].

والجواب عن هذا: أن هذه الحياة برزخية، وليس في الآية ما يدل على أن حياتهم البرزخية تماثل حياتهم الدنيوية من كل وجه، حتى يُقال بثبوت سائر الإدراكات لهم، كما هو الشأن في الحياة الدنيوية.

ولا يلزم من ثبوت وصف الحياة للشهداء نظير ما رتبتموه على حياة الأنبياء، وبيانه أن يقال:

نحن وأنتم نسلِّم بأن الآية واردة في الأصل في حقِّ الشهداء؛ فهي على هذا: نصٌّ بثبوت الحياة لهم أيضًا، ولكن هل يلزم من ثبوت وصف الحياة لهم، نظيرُ الأمور التي رتبتموها على حياة الأنبياء؟! هذا ما لم يقولوه، لكنه يرِدُ عليهم. فلا محيد لهم من اعتبار حصول الأمور المترتبة على هذه الحياة، للأنبياء والشهداء معًا، أو ادعاء أن الآية ترجِّح أو تخصِّص أحدهما؛ فيكون

(١) انظر: «تنوير الحلك» (٢/٤٨٥)، و«شفاء السقام» ص (١٥٦).

هذا منهم ترجيحًا بلا مرجِّح، وتخصيصًا بلا مخصِّص، فيكون قد انقلب الدليل عليهم حرفًا بحرفٍ، كما أفاده العلامة ابن القيم[(١)].

ثانيًا: استدلوا بجملة من الأحاديث الصحيحة التي تثبت حياة الأنبياء في قبورهم:

- كحديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- مرفوعًا: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»[(٢)].

- وحديث أنس -رضي الله عنه- أيضًا، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «أتيت على موسى ليلة أُسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره»[(٣)].

قالوا: وهذه صفة الجسد لا الروح.

والجواب أن يقال: «من أين للمنازع القطع بأن ثبوت هذه الأعمال، وصدورها منهم -وهم في البرزخ- يقتضي مطابقة ذلك، لما هو معهود في حياتهم الدنيوية من كل وجهٍ؟ هذا ما لا سبيل إلى إثباته إلا بالنقل؛ وهيهات؛ لأنها لو كانت كما يقول المنازع؛ لما كان لبقائه -صلى الله عليه وسلم- في قبره معنى، ولترتَّبت على ذلك -أعني: هذه الحياة- أحكامُها، كالإمامة الكبرى، والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما يتبع ذلك؛ من مقتضيات هذه الحياة؛ ولا بدَّ. فأنتم أردتم تنزيهه -صلى الله عليه وسلم- عن الموت الحقيقي؛ فلزمكم نسبة التفريط إليه -صلى الله عليه وسلم-»[(٤)].

(١) انظر: «شرح النونية» للهراس (٢/١٣).

(٢) رواه البيهقي في «حياة الأنبياء» ص (١٥-١٧)، وابن عدي في «الكامل» (٢/٧٣٩)، وغيرهما، وقوَّاه الألباني بمجموع طرقه، كما في «السلسلة الصحيحة» رقم (٦٢١).

(٣) رواه مسلم (١٥/١٣٣-نووي)، والنسائي (٣/٢١٦)، والإمام أحمد (٣/١٢٠، ١٤٨).

(٤) «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية» ص (٢٧٢).

ومِن ثَمَّ قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله تعالى- ينعي عليهم زعمهم:

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ... ترقيعه يا كثرة الخُلقانِ[1]
قال: الرسول بقبره حيٌّ كما ... قد كان فوق الأرض والرَّجْمانِ[2]
من فوقه أطباق ذاك الترب والـ ... ـلبِنَات قد عرضتْ على الجدرانِ
لو كان حيًّا في الضريح حياته ... قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الأرض بل من فو ... قها والله هذي سنة الرحمن
أتراه تحت الأرض حيًّا ثم لا ... يفتيهم بشرائع الإيمان
ويُريحُ أُمَّته من الآراء والخُلـ ... ـف العظيم وسائر البهتان[3]

وقال الشيخ محمد بشير السهسواني -رحمه الله-: «هذه الحياة برزخية، وتَساوِي الحياة البرزخية والدنيوية في جميع الأحكام، لا يقول به أحد من العقلاء؛ إذ هو يستلزم مفاسد غير محصورة؛ كما لا يخفى على من له أدنى فهم[4].

ويقال: لو سلمنا بثبوت سائر الإدراكات لهم؛ فالخصم معترفٌ بأنه من أحوال الآخرة، ومسائل الغيب؛ وما كان كذلك؛ فلا يُقاس عليه، بل لا يصح، والسيوطي نفسه -الذي هو من أشدهم انتصارًا لهذه الرؤية اليقظية- نقل عن بعض العلماء قولهم: «أحكام الآخرة، لا مدخل فيها للقياس والاجتهاد، ولا النظر والاحتجاج، والله يفعل ما يشاء؛ لا شريك له»[5].

(١) الخُلقان: جمع خَلَق، ويقال: ثوبٌ خَلَق أي بالٍ، وانظر: «لسان العرب» (١٠/ ٨٨).
(٢) الرَّجْمان: الرَّجَم والرِّجام هي الحجارة المجموعة على القبور، وانظر: «لسان العرب» (١٢/ ٢٢٨).
(٣) «القصيدة النونية بشرح الهراس» (٢/ ٦).
(٤) «صيانة الإنسان» ص (٥١).
(٥) «الحاوي» للفتاوى (٢/ ٣٧٥).

وقال: «هذا الباب ليس فيه مدخل للقياس، ولا مجال للنظر فيه؛ وإنما فيه التسليم، والانقياد لقول الصادق المُرسَل إلى العباد»[1].

وما ضل من ضل في باب صفات الله -تعالى- إلا من هذا الباب؛ إذ ظنوا أن إثبات القَدْر المشترك المتواطئ: يستلزم التَّشابه من جميع الوجوه، أو يستلزم التشابه في مُسمَّى اللفظ؛ فحمَلَ ذلك أقوامًا على نفي صفات الباري، وحمل آخرين على تشبيهها بصفات المحدثات[2].

والأمر هاهنا كذلك: فعلى فرض ثبوت سائر الإدراكات لهم؛ فهذا إنما نعرفُ منه؛ مُسمَّى اللفظ، والقدر المتواطئ المُشتَرَك؛ إذْ بهذه الموافقة والمشاركة: نفهم الغائب، ونُثْبِتُه، أما حقيقة ذلك؛ فإثباتُه تابعٌ لورود النقل به، وإلا فالواجب في هذا الباب: التسليم. فالحاصل: أن هؤلاء الصوفية، فهموا من ثبوت القدر المشترك، بين الأحياء والأموات: تساويَ الحيِّ مع الميت من كل وجهٍ -أو على الأقل- تساويها في حق الأنبياء، وفي حق نبينا -صلى الله عليه وسلم-، على وجه الخصوص!

وجوابٌ آخر، وهو: أنَّ وصْفَهُم بالحياة في بعض الأحيان؛ لا يرفعُ عنهم وصفَ الموت ولا اسمه؛ كما أن وصف الحي بالموت أحيانًا؛ لا يرفعُ عنه اسم الحياة؛ كالنائم؛ فإن الله -عز وجل- سمى النوم موتًا، كما دل على هذا المعنى قوله -عز وجل-: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

قال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ): «... فإن حياة الروح؛ ليست حياةً تامةً مستقلةً كحياة الدنيا، وكالحياة الآخرة بعد البعث،

(١) «نفس المصدر».
(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٣٤٦، ٣٤٧)، (٥/ ٤٥٨، ٤٥٩).

وإنما فيها نوع اتصال في البدن؛ بحيث يحصل بذلك شعور البدن، وإحساس بالنعيم والعذاب، وغيرهما، وليس هو حياة تامة؛ حتى يكون انفصال الروح موتًا تامًّا، وإنما هو شبيه بانفصال روح النائم عنه، ورجوعها إليه؛ فإن ذلك يُسمَّى موتًا وحياةً؛ كما كان يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا استيقظ: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور»[1]؛ وسمَّاه الله وفاةً... ومع هذا: فلا ينافي أن يكون النائم حيًّا؛ وكذلك اتصال روح الميت ببدنه، وانفصالها عنه؛ لا توجب أن يصير حيًّا حياةً مطلقةً»[2].

وقال العلامة محمد بن أحمد بن عبد الهادي (ت: ٧٤٤هـ): «وليُعْلَم أن ردَّ الروح بعدُ للبدن، وعَوْدَها إلى الجسد بعد الموت؛ لا يقتضي استمرارها فيه، ولا يستلزم حياة أخرى قبل يوم النشور؛ نظير الحياة المعهودة، بل إعادة الروح إلى الجسد في البرزخ؛ إعادة برزخية، لا تُزيل عن الميت اسمَ الموت»[3].

فعلى ما سبق: لو قيل بثبوت سائر الإدراكات لهم؛ فهذا لا يرفع عنهم وصف الموت، كما هو واضح، والحمد لله.

ويجاب -أيضًا- عن احتجاجهم بحديث صلاة موسى في قبره وكذلك صلاة الأنبياء في قبورهم، بأن الصلاة في القبر، ليست خاصة بالأنبياء، بل إنَّه قد ثبت في الحديث، أن الملكين يقولان للمؤمن، وهما يسألانه: «اجلس! فيجلس؛ قد مُثِّلتْ له الشمس؛ وقد آذنت للغروب، فيقال له: أرأيتك هذا الذي كان فيكم، ما تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلِّيَ، فيقولان: إنك ستفعل»[4].

(١) رواه البخاري (١١/ ١٣٠-فتح) رقم (٦٣٢٤، ٦٣٢٥)، ومسلم (١٧/ ٣٥-نووي).
(٢) «أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور»، ص (٧٩، ٨٠).
(٣) «الصارم المنكي في الرد على السبكي» ص (٢١٣).
(٤) رواه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧٩)، وصححه على شرط مسلم، وحسَّنه الألباني في «أحكام الجنائز» ص (٢١٣).

فهذه الصلاة قد ثبتت أيضًا للمؤمن؛ وهي أقوالٌ وأفعالٌ؛ فهلا قلتم هنا، نظير ما قلتموه هناك»[1].

ثالثًا: أحاديث صحيحة[2] فهموا منها أن الأنبياء يخرجون من قبورهم الخروجَ المعهود في الحس، كقوله -صلى الله عليه وسلم-: «كأني أنظر إلى موسى -عليه السلام- هابطًا من الثنية، وله جؤار إلى الله بالتلبية... كأني أنظر إلى يونس بن متى -عليه السلام- على ناقة حمراء»، وكذا رؤيته -صلى الله عليه وسلم- الأنبياء عليهم السلام، في الإسراء والمعراج، وصلاته بهم.

وهاك جوابَ الحافظ ابن حجر عنها:

قال -رحمه الله-: (قد اختلف أهل التحقيق في معنى قوله: «كأني أنظر» على أوجهٍ:

الأول: هو على الحقيقة، والأنبياء أحياء عند ربهم يُرزقون، فلا مانع أن يحجوا في هذا الحال... لكن تمام التوجيه أن يقال: إنَّ المنظور إليه هي أرواحهم؛ فلعلها مُثِّلَتْ له -صلى الله عليه وسلم- في الدنيا، كما مُثِّلَتْ له ليلة الإسراء، وأما أجسادهم؛ فهي في القبور...

ثانيها: كأنه مُثِّلَتْ له أحوالهم التي كانت في الحياة الدنيا، كيف تعبَّدوا، وكيف حجوا، وكيف لبوا، ولهذا قال: «كأني».

ثالثها: كأنه أُخبر بالوحي عن ذلك؛ فلشدة قطعه به قال: «كأني أنظر إليه».

(١) انظر: «النونية بشرح الهراس» (٢/ ١٦، ١٧).
(٢) تنبيه: وقد احتجوا على ذلك -أيضًا- بأحاديث ضعيفة واهية كحديث: «ما من نبي يموت فيقيم في قبره إلا أربعين صباحًا»، وما في معناه، وهي ما بين موضوع، وباطل لا أصل له، وضعيف بَيِّن الضعف، ولا يُتكلَّف الجوابُ عن الحديث حتى يصح، والباطل يكفي في رده كونه باطلًا.

رابعها: كأنها رؤية منام؛ تقدمت له، فأخبر عنها لما حجَّ، عندما تذكر ذلك، ورؤيا الأنبياء وحي، وهذا هو المعتمد عندي؛ لما سيأتي في أحاديث الأنبياء بنحو ذلك، في أحاديث أخر، وكون ذلك كان في المنام، والذي قبله أيضًا: ليس ببعيدٍ. والله أعلم) اهـ[1].

فأرجحها قولان -كما قال الحافظ- وباقي الأقوال ينبغي الإضراب عنها، فَلْيَلْتمس الخصم لإثبات مدَّعاه، دليلًا وراء هذا.

ولو فرضنا أنه -صلى الله عليه وسلم- رأى أجسادهم وأرواحهم، كما لو كانوا في الدنيا -مع بُعد هذا الاحتمال كل البُعد- لكان ذلك خاصًّا به -صلى الله عليه وسلم- فلا يُقاس غيره عليه، كائنًا من كان، مع أن القول: بأنه رأي نفس الأجساد المدفونة في القبور، قد زيَّفه الإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما رؤيته[2]، ورؤية غيره من الأنبياء ليلة المعراج في السماء... فهذا رأى أرواحهم مصورة في صور أبدانهم.

وقد قال بعض الناس: لعله رأى نفس الأجساد المدفونة في القبور؛ وهذا ليس بشيء»[3].

وقال ابن القيم: «وأما إخبار النبي -صلى الله عليه وسلم- عن رؤية الأنبياء، ليلة أُسريَ به؛ فقد زعم بعض أهل الحديث: أن الذي رآه: أشباحهم، وأرواحهم... ونازعهم في ذلك آخرون، وقالوا: هذه الرؤية إنما هي لأرواحهم، دون أجسادهم، والأجساد في الأرض قطعًا؛ إنما تُبعث يوم بعث الأجساد، ولم تُبعث قبل ذلك،؛ إذ لو بُعثت قبل ذلك: لكانت قد انشقت عنها الأرض قبل يوم القيامة، وكانت تذوق الموت عند نفخة الصُّوْر؛

(١) «فتح الباري» (٤/١٥٨).
(٢) أي: رؤية نبينا -صلى الله عليه وسلم- موسى -عليه السلام- لما رآه يصلي في قبره.
(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/٣٢٨).

وهذه موتة ثالثة؛ وهذا باطلٌ قطعًا. ولو كانت بُعِثَتْ الأجسادُ من القبور: لم يُعِدْهُم اللهُ إليها، بل كانت في الجنة...»[1].

وممن نص من الصوفية على بطلان الأحاديث التي تفيد مفارقة الأنبياء لقبورهم: خالد بن حسين النقشبندي (ت: ١٢٤٢هـ) وذلك في بعض مكتوباته، التي قال فيها: «... وهنا أحاديث ضعيفة، باطلة؛ تدل على خلو قبره -صلى الله عليه وسلم- عنه ظاهرًا، مطلقًا، أو بعد ثلاثة أيام، أو بعد أربعين يومًا؛ اغتر بها بعض الناس؛ لا يجوز التعويل عليها...»[2].

ومما يُبطل قولَ من يقول بمفارقة الأنبياء لقبورهم، ما ثبت عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- في أحاديث صريحة، من كون أجسادهم في قبورها؛ لا يفارقونها، كحديث: «إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[3]. فقد أشار الحافظ ابن حجر، إلى أن هذا الحديث، يقدح في الأحاديث المصرِّحة بخروج الأنبياء من قبورهم[4]. واستدل به الإمام ابن القيم على ذلك أيضًا، فقال: «لو لم يكن جسده في ضريحه؛ لما أجاب بهذا الجواب»[5].

ويدل عليه أيضًا: ما جاء في عدة أحاديث، عن عدَّة من الصحابة -رضي الله عنهم-: بأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو أول من تنشق عنه

(١) «الروح» ص (٨٥).
(٢) «الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية» ص (٢٥٦).
(٣) رواه أبو داود رقم (١٠٤٧) ورقم (١٥٣١)، والنسائي (٣/ ٩١، ٩٢)، وابن ماجه (١/ ٣٤٥) رقم (١٠٨٥)، وغيرهم، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٥٢٧)، ولفظه: «أكثروا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة، فإن صلاتكم معروضة عليَّ»، قالوا: كيف تعرض عليك وقد أرمت؟ قال: «إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».
(٤) كما في «التلخيص الحبير» (٢/ ١٢٦).
(٥) «الروح» ص(٨٦).

الأرض يوم القيامة[1]. فهذا الحديث مما نصَّ الحافظ ابن حجر بأنه من جملة ما يقدح في الأحاديث التي فيها مفارقة الأنبياء لقبورهم[2].

ومما يقدح فيها كذلك: ما ثبت في الحديث، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن موسى -عليه السلام- نقلَ عظام[3] يوسف -عليه السلام- لما خرج من مصر[4].

وهذه الأدلة كلها قاطعة ببطلان خروج الأنبياء -عليهم السلام- من قبورهم في الدنيا.

رابعًا: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال -رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «ما مِن أحدٍ يُسَلِّم عليَّ، إلا رَدَّ الله عليَّ روحي، حتى أرد عليه السلام»[5].

والجواب: ما قاله الحافظ ابن عبد الهادي -رحمه الله-: «وفي الجملة: ردُّ الروح على الميت في البرزخ، وردُّ السلام على من سلَّم عليه: لا يستلزم

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٧٠-فتح)، ومسلم (١٥/ ٣٧- نووي)، وغيرهما.

(٢) كما في «التخليص الحبير» (٢/ ١٢٦).

(٣) والمقصود بعظام يوسف هنا: بدنه كله، قال الألباني -رحمه الله-:
«إن معنى قوله في الحديث: «عظام يوسف» لا يعارض حديث: «إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»؛ لأنه قد ثبت في حديث جيد الإسناد على شرط مسلم: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما بَدَّنَ، قال له تميم الداري: ألا أتخذ لك منبرًا يا رسول الله؛ يجمع -أو يحمل- عظامك؟، قال: بلى. فاتخذ له منبرًا؛ مرقاتين. رواه أبو داود، برقم (١٠٨١)، فدل هذا: أنهم كانوا يطلقون العظام؛ ويريدون به: البدن كله» اهـ. انظر: «السلسلة الصحيحة» (١/ ١٥).

(٤) رواه الحاكم (٢/ ٤٠٤)، وصححه على شرط الشيخين، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/ ١٤).

(٥) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٢٠٤١)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٥٢٧)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٢٤٥)، و«حياة الأنبياء» ص (٢٦) رقم (١٦)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٢٦٦).

الحياة التي يظنها بعض الغالطين؛ وإن كانت نوع حياة برزخية.

وقول من زعم أنها نظير الحياة المعهودة[1]؛ مخالف للمنقول والمعقول، ويلزم منه مفارقة الروح للرفيق الأعلى، وحصولها تحت التراب؛ قرنًا بعد قرنٍ؛ والبدن حيٌّ، مدرِكٌ، سميعٌ، بصيرٌ، تحت أطباق التراب والحجارة؛ ولوازم هذا -الباطلة- مما لا يخفى على العقلاء.

وبهذا يُعْلَم بطلان تأويل قوله: «إلا رد الله عليَّ روحي» بأن معناه: إلا وقد ردَّ الله عليَّ روحي[2]، وأن ذلك الرد مستمر؛ وأحياه الله قبل يوم النشور، وأقرَّه تحت التراب واللَّبِن، فيا ليت شعري! هل فارقت روحُه الكريمةُ الرفيقَ الأعلى، واتَّحدتْ ببيتٍ تحت الأرض مع البدن، أم هي في الحال الواحدة؛ هي في المقامين؟!»[3].

وقد اختُلف في معنى هذا الردِّ، وتعدَّدت الأقوال فيه[4]، والأسلم: إجراء الحديث على ظاهره، والإيمان بمعناه، ولا حاجة للتكلُّف. والله أعلم.

---

(١) ورتبوا على هذا القياس على الحياة المعهودة أنه يلزم تكرار مفارقة الروح للبدن الشريف، وتكرار إعادتها إليه، وفي ذلك إيلام لبدنه الشريف -صلى الله عليه وسلم- ومخالفة للتكريم، كما أن فيه تكرارَ الموت والحياة في حقه -صلى الله عليه وسلم- وكلها إلزامات باطلة؛ لأنَّ حياة البرزخ لا تقاس على الحياة الدنيوية، والله أعلم.

(٢) وهذا ما ذهب إليه الإمام البيهقي إذ قال في شرح قوله -صلى الله عليه وسلم-: «إلا رَدَّ الله عليَّ روحي»: «وإنما أراد -والله أعلم- إلا وقد رد الله إلي روحي، حتى أرد عليه السلام» كما في «حياة الأنبياء» ص (٢٦)، وعلى قول البيهقي -رحمه الله- تكون الجملة حالية، ومن ثَمَّ رجَّح السيوطي -رحمه الله- أن مراد الحديث الإخبار بأن الله يرد إليه روحه بعد الموت، فيصير حيًّا على الدوام، حتى لو سلَّم عليه أحد، ردَّ عليه سلامه؛ لوجود الحياة فيه» اهـ. من «إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء» ضمن «الحاوي للفتاوى» (٢/ ٣٣٨).

(٣) «الصارم المنكي» ص (٢١٦).

(٤) انظرها في: «فتح الباري» (٧/ ٢٩٧)، و«الصارم المنكي» ص(٢١٦)، و«شفاء السقام» ص(٤٣).

الدَّلِيلُ الرَّابعُ من أدلتهم

قالوا: «إن رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا كرامة يمنحها اللَّه من يشاء من عباده، فالمنكِر لها منكرٌ لكرامات الأولياء الثابتة بالكتاب والسُّنَّة والآثار المسندة؛ ففي الكتاب قصة أصحاب الكهف، وقصة الخَضِر مع موسى، وقصة آصف بن برخيا مع سليمان... وغيرها.

وفي السُّنَّة: قصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار، وحديث جُريج، وكلام الطفل ببراءته... وغيرها كثير.

ومن الآثار: قصة عمر - رضي اللَّه عنه - مع سارية.

ومن العقل والنظر: وقوعها المتكرر تكرارًا ينتهي إلى حد القطع بشهادة الكتاب والسُّنَّة والإجماع».

* **المناقشة:**

١- إن هذا الدليل لا يَرِدُ على محل النزاع؛ إذ لا تلازم بين إنكار رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا وبين إنكار الكرامة، فقد أنكر رؤيةَ النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته جمعٌ من العلماء المثبتين لكرامات الأولياء؛ كابن تيمية، وابن حجر العسقلاني، والقرطبي، وابن العربي، والأهدل، وغيرهم.

قال الشيخ محمد الخضر الشنقيطي: «... ومنكر هذه الرؤية -من العلماء- لا يلزمه أن يكون منكرًا لكرامات الأولياء، بل يصح أن يكون منكرًا لها، ويكون معترفًا بكرامات الأولياء، غاية الاعتراف؛ فقد مرَّ عن كثير من العلماء، عدم الاعتراف بهذه الرؤية... ولم يُذكَر عن واحد منهم أنه ينكر

كرامات الأولياء...»[١].

٢- إن رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا ليست من باب الكرامة، **وبيان ذلك:**

ا - أن الكرامة هبة من اللَّه - تَعَالَى - لمن يشاء من عباده الصالحين لا تُطْلبُ ابتداءً[٢]، وهم يقولون بطلبها ابتداء.

ب - أن الكرامة لا تُدْرَك بالتعلم، وهم يقولون بأنها تدرك بالتعلم والكسب عن طريق كثرة الذكر والرياضة[٣].

قال الشيخ صنع اللَّه الحلبي الحنفي: «أما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة؛ لأن الكرامة شيء من عند اللَّه يكرم بها أولياءه، لا قصد لهم فيها، ولا تحديَ، ولا قدرة، ولا علم؛ كما في قصة مريم بنت عمران، وأسيد ين حضير، وأبي مسلم الخولاني»[٤]. اهـ.

ج - أن الكرامة أمر خارق للعادة، لا يخالف النصوص الشرعية الثابتة بالكتاب والسنَّة، ورؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا معارضة لنص شرعي[٥]، كما أنها مستحيلة عقلًا[٦].

---

(١) «مشتهي الخارف الجاني» ص(١٠٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/٣٦٠).

(٣) «بغية المستفيد» ص (٧٩، ٨٠).

(٤) انظر: «تيسير العزيز الحميد» ص (١٩٨).

(٥) هو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وانظر ص(٢٥-٢٧).

(٦) تقدم بيان ذلك ص(٢٧، ٢٨).

فائدة: ورد في قصة إحصار أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قوله:

«رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من هذه الخوخة، فقال: يا عثمانُ! حصروك؟ قلتُ: نعم. قال: عطَّشوك؟ قلت: نعم؛ فأدلى إليَّ دلوًا فيه ماء؛ فشربتُ حتى رويتُ؛ حتى إني لأجد برده بين ثدييَّ، وبين كتفيَّ؛ فقال: إن شئتَ نُصِرتَ عليهم، وإن شئتَ أفطرتَ عندنا. فاخترتُ أن أُفطر عنده، فقُتِل ذلك اليوم، قبل الغروب»[1].

وقد عد بعضهم هذه القصة من الكرامات، وقال في بيان وجه إفادتها للرؤية اليقظية:

«إنها لو كانت رؤية منام؛ لما صحَّ عدُّها من الكرامات؛ لأن رؤية المنام يستوي فيها كل أحد، وليست معدودة من الكرامات، ولا ينكرها من ينكر كراماتِ الأولياء[2].

فعدُّها من الكرامات؛ هي إحدى مسالك استدلالهم على جواز حصولها، وقد هوَّلوا بذلك، كما هي عادتهم، فقال ابن أبي جمرة: «. . . . والمنْكِرُ

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في «المسند» (١/٥٢٥، ٥٢٦)، رقم (٥٢٦)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح»، والحديث في «مجمع الزوائد» (٧/٢٣٢)، (٩/٩٦-٩٨)، ونسبه أيضًا لأبي يعلى في «الكبير».

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣/١٠٢، ١٠٣)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، ورواه ابن أبي الدنيا في «كتاب المنامات» ص(٧٩، ٨٠)، ولا يخفى دلالة إيراده إياه في كتاب «المنامات» على المقصود.

وقد استوعب تخريج روايات هذه الرؤيا الدكتور محمد بن عبد الله الغبان في كتابه «فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه» (١/١٧١-١٧٥).

وحين يقول الصحابي: «رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المنام» فهي رؤيا حق، لأنه يعرف صورته الحقيقية التي لا يستطيع الشيطان أن يتمثل بها.

(٢) انظر: «تنوير الحلك» (٢/٤٨).

لهذا؛ لا يخلو أن يصدِّق بكرامات الأولياء، أو يكذب بها؛ فإن كان ممن يكذب بها: فقد سقط البحث معه. . . ، وإن كان مصدقًا بها: فهذه من ذلك القبيل؛ لأن الأولياء تُكْشَفُ لهم بخرْق العادة، عن أشياء في العَالَمَيْن: العلوي، والسفلي؛ عديدة؛ فلا تنكر هذا، مع التصديق بذلك»[1] اهـ.

ويا لله العجب!! أيظهر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لعثمان -رضي الله عنه-، في اليقظة؛ ليقول له ما قال، ولا يظهر لهؤلاء الأوباش الذين حاصروه، وأرادوا قتله؟ ولو فعل: لخلَّص المسلمين من فتنٍ يعزُّ حصرها واستقصاؤها.

ونقل صاحب (جيش التجانية) عن أبي عبد الله الساحلي، أن الرؤية اليقظية؛ من جائز الكرامات، التي يُتْحِفُ ا للهُ بها أولياءَه[2].

والجواب عن هذا: أن هذه الرؤية رؤيا منامية، كما وقع التصريح بذلك، في بعض الطرق، عند الإمام أحمد في «المسند»، وعند غيره أيضًا، فقد جاء أن عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، قال: «. . . إني رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- البارحةَ في المنام، ورأيت أبا بكر، وعمر -رضي الله عنهما- وإنهم قالوا لي: اصبر؛ فإنك تفطر عندنا القابلة».

ووقع في بعض الطرق أنه قال: «. . . لولا أن يقولوا: إن عثمان تمنَّى أُمنية لحدثتكم! قلنا: حدِّثْنا؛ فلسنا على ما يقول الناس. قال: إني رأيت الليلة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، في منامي هذا؛ فقال: إنك شاهدٌ فينا الجمعة. . . .»[3].

---

(١) «بهجة النفوس» (٤/٢٣٨).

(٢) انظر: «الجيش الكفيل» ص (٤٢).

(٣) رواه البزار (٣/١٨١-كشف الأستار) رقم (٢٥١٦)، وقال الهيثمي: «أخرجه أبو يعلى في الكبير، والبزار، وفيه أبو علقمة مولى عبد الرحمن بن عوف، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات» اهـ. «المجمع» (٧/٢٣٢).

دليلهم الخامس

قالوا: «إن رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا قد وقعت لجمع غفير من سلف هذه الأمة؛ منهم: الشيخ أبو مدين المغربي شيخ الجماعة، والشيخ عبدالرحمن القناوي، والشيخ أبو العباس المرسي، والشيخ أبو السعود بن أبي العشائر، وإبراهيم المتبولي، والشيخ جلال الدين السيوطي، وغيرهم»[1].

* **المناقشة:**

أولًا: إذا ظهر في كلام الأولياء والصالحين ما يخالف الشرع والعقل فينبغي أن يُحمَلَ على أحسن المحامل، ويُصارَ إلى تأويله؛ إذ قد يُنْقَلُ عنهم الكلام، ويُفْهَمُ على غير ما أرادوا؛ لتفاوت المدارك واختلاف العقول، فمن ذلك مثلًا ما قاله أبو العباس المُرْسِي: «لي أربعون سنة ما حُجِبتُ عن رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-، ولو حُجِبْتُ طرفةَ عين، ما أعددتُ نفسي من جملة المسلمين». قال الشيخ الأهدل: «فهذا كلام فيه تجوُّز يقع مثله في كلام الشيوخ والصالحين، والمراد به أنه لم يُحْجَبْ حجابَ غفلةٍ ونسيان عن دوام المراقبة واستحضارها في الأعمال والأقوال، ولم يُرِدْ أنه لم يحجب عن الروح الشخصية؛ فذلك مستحيل»[2].

أما من لم يبلغ درجة أولئك في الصلاح والتقوى فلا عبرة بما يقوله، إنما هو شيطان تمثل له، وأخبر قرينه بخبر كاذب، بل قد يتمثل الشيطان لعباد اللَّه الصالحين؛ كما حدث لعبدالقادر الجيلاني، فقد رأى الشيطان في النوم، فقال له: «أنا ربك قد أبحت لك المحرمات»، فقال: «اخسأ يا لعين»، فقيل

(١) «رماح حزب الرحيم» (١/١٩٩).

(٢) «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني (٥/٣٠٠، ٣٠١).

له: «بم عرفت أنه شيطان؟» قال: «بقوله: أبحت لك المحرمات، وبقوله: أنا ربك، ولم يقل: أنا اللَّه»[1].

وقد روى سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن أيوب قال: «كان محمد - يعني ابن سيرين - إذا قصَّ عليه رجل أنه رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (صِف لي الذي رأيتَه)، فإن وصف له صفة لا يعرفها، قال: لم تره»[2].

إذن يمكنُ أن يكون مستند مدَّعي الرؤية، هو: الحس الظاهر؛ فيُخبِرُ أنه رأى ما يعتقد أنه النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ وهو صادقٌ فيما أخبر به من الرؤية، لكنَّه إنما رأى شيطانًا أضلَّه، ولبَّس عليه؛ فظنَّ أن نفس الأمر كذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... والمقصود هنا: أن من أعظم أسباب ضلال المشركين؛ ما يرونه أو يسمعونه عند الأوثان؛ كإخبار عن غائب... ونحو ذلك. فإذا شاهد أحدهم القبرَ انشقَّ، وخرج منه شيخٌ بهيٌّ؛ عانقه، أو كلَّمه: ظنَّ أن ذلك هو النبيُّ المقبور، أو الشيخ المقبور؛ والقبر لم ينشق، وإنما الشيطان مثَّل له ذلك؛ كما يمثل لأحدهم أن الحائط انشق، وأنه خرج منه صورة إنسان؛ ويكون هو الشيطان؛ تمثَّل له في صورة إنسان، وأراه أنه خرج من الحائط. ومن هؤلاء من يقول لذلك الشخص الذي رآه قد خرج من القبر: (نحن لا نبقي في قبورنا، بل من حين يُقْبَر أحدُنا؛ يخرج من قبره، ويمشي بين الناس).

... وأهل الضلال إما أن يكذِّبوا بها، وإما أن يظنوها من كرامات أولياء الله،

(١) «نفسه» (٥/٢٩٨).

(٢) قال الحافظ: «إسناده صحيح». اهـ. من «فتح الباري» (١٢/٣٨٣، ٣٨٤)، وانظر كتابي «حجية الرؤى وسلطان المنامات» ص(٦٠-٦٤).

ويظنون أن ذلك الشخص؛ نفْسُ النبي، أو الرجل الصالح، أو مَلَك على صورته، وربما قالوا: هذه روحانيته، أو رقيقته، أو سره، أو مثاله، أو روحه تجسدتْ، حتى قد يكون من يرى ذلك الشخص في مكانين؛ فيظن أن الجسم الواحد يكون في الساعة الواحدة؛ في مكانين، ولا يعلم أن ذلك؛ حين تصوَّر بصورته: ليس هو ذلك الإنسي...»[1].

وقال -رحمه الله-: «... فمن ظن أن أحدًا من الموتى يجيء بنفسه للناس؛ عيانًا قبل يوم القيامة: فمن جهله أُتي»[2].

فإن قيل: هل يمكن أن يقع مثل هذا التلبيس للأولياء؛ ولا يعرفون أنه من جهة الشيطان؟!

فالجواب ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا نصه: «... وليس من شرط وليِّ الله أن يكون معصومًا؛ لا يغلط، ولا يخطئ، بل يجوز أن يخفى عليه بعضُ علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعضُ أمور الدين... ويجوز أن يظن في بعض الخوارق، أنها من كرامات أولياء الله تعالى، وتكون من الشيطان؛ لبَّسها عليه؛ لنقص درجته، ولا يعرف أنها من الشيطان؛ وإن لم يخرج بذلك عن وَلاية الله تعالى...»[3].

ولذلك: لم يكن اعتقاد هذه الرؤية من المُكَفِّرَات، لكن اعتقاد ذلك؛ غلطٌ، وخطأٌ. وأشار شيخ الإسلام ابن تيمية، إلى أن: «في المسلمين من يعتقد أن النبي -صلى الله عليه وسلم-، يجيء بعد موته، ويراه الرائي في اليقظة، وأن هذا غلط؛ لا يوجب كفرَ مُعْتَقِدِهِ. وهذا نظير ما اعتقدته

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ١٧٧، ١٧٨).
(٢) المرجع نفسه (١٣/ ٩٤).
(٣) المرجع نفسه (١١/ ٢٠١، ٢٠٢).

النصارى في المسيح عليه السلام؛ لما ادَّعَوْا صلْبه، وموتَه؛ أنه جاء بعد ذلك؛ وكلَّمهم»[1].

ومع ذلك: فهذا الغلط، لا يسوغ لهم هجرَ ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم-، والإعراض عن سنته؛ اكتفاءً بهذا الأخذ اليَقَظِيِّ؛ فلا ريب في ضلال معتقد ذلك، ومفارقته سبيل المؤمنين، ومخالفته هدي الأولين، من الصحابة والسلف الماضين، رضوان الله عليهم أجمعين؛ الذين لم يكن الشيطان ليطمع أن يضلهم، ويأتيهم من هذه الجهة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «... وكان أصحابه؛ خير القرون، وهم أعلم الأمة بسنته، وأطوع الأمة لأمره، وكانوا إذا دخلوا إلى مسجده؛ لا يذهب أحد منهم إلى قبره؛ لا من داخل الحجرة، ولا من خارجها... وهم مع ذلك التَّمكُّن من الوصول إلى قبره؛ لا يدخلون إليه؛ لا لسلام، ولا لصلاةٍ عليه... ولا لسؤال عن حديث، أو علم؛ ولا كان الشيطان يطْمع فيهم؛ حتى يُسْمِعَهُم كلامًا، أو سلامًا؛ فيظنون أنه هو كلَّمهم، وأفتاهم، وبين لهم الأحاديث، أو أنه قد ردَّ عليهم السلام؛ بصوتٍ يُسْمَع من خارج؛ كما طمع الشيطان في غيرهم؛ فأضلهم عند قبره، وقبر غيره: حتى ظنوا أن صاحب القبر يحدثهم، ويفتيهم، ويأمرهم، وينهاهم؛ في الظاهر، وأنه يخرج من القبر؛ ويرونه خارجًا من القبر، ويظنون أن نفْس أبدان الموتى خرجت من القبر تكلِّمهم، وأن روح الميت تجسَّدت لهم؛ فرأوها»[2].

وقال: «... ولهذا: لم يقل قط أحدٌ من الصحابة: إن الخضر أتاه، ولا موسى، ولا عيسى، ولا أنه سمع ردَّ النبي -صلى الله عليه وسلم-، عليه... وكذلك التابعون، وتابعوهم، وإنما حدث هذا من بعض المتأخرين.

(١) انظر: المصدر نفسه (١٣/ ١٠٩).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٣٨٧، ٣٨٨).

وكذلك: لم يكن أحدٌ من الصحابة -رضوان الله عليهم- يأتيه؛ فيسأله عند القبر عن بعض ما تنازعوا فيه، وأشكل عليهم من العلم؛ لا خلفاؤه الأربعة، ولا غيرهم. مع أنهم أخصُّ الناس به -صلى الله عليه وسلم-، حتى ابنته فاطمة -رضي الله عنها- لم يطمع الشيطان أن يقول لها: اذهبي إلى قبره؛ فسليه هل يُورَث أم لا يورَث؟... وإنما ظهرتْ هذه الضلالات ممن قلَّ علمه بالتوحيد والسنة؛ فأضله الشيطان...»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والضُّلَّال من أهل القبلة يرون من يعظمونه، إما النبي -صلى الله عليه وسلم- وإما غيره من الأنبياء يقظة، ويخاطبهم ويخاطبونه، وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث، فيجيبهم»، ثم قال: «لكن كثيرًا من الناس يكذِّب بهذا، وكثيرًا منهم إذا صدَّق به يظن أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رأي ذلك رآه لصلاحه ودينه، ولم يعلم أنه من الشيطان، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان، ومن كان أقل علمًا قال له ما يعلم أنه مخالف للشريعة. وهو- وإن ظن أنه قد استفاد شيئًا- فالذي خسره من دينه أكثر»[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه - أيضًا:

«والشياطين كثيرًا ما يتصورون بصورة الإنس في اليقظة والمنام، وقد تأتي لمن لا يعرف، فتقول: أنا الشيخ فلان أو العالِم فلان، وربما قالت: أنا أبو بكر وعمر، وربما أتى في اليقظة دون المنام وقال: أنا المسيح، أنا موسى، أنا محمد، وقد جرى مثل ذلك أنواع أعرفها، وثَمَّ من يصدق بأن الأنبياء يأتون في اليقظة في صورهم، وثَمَّ شيوخ لهم زهد وعلم وورع يصدقون بمثل هذا.

(١) نفس المرجع (٢٧/ ٣٩٢، ٣٩٣).
(٢) نفس المرجع (٢٧/٣٩١، ٣٩٢)، و«الجواب الباهر» ص (٥٤، ٥٥).

ومن هؤلاء من يظن أنه حين يأتي إلى قبر نبي أن النبي يخرج من قبره في صورته فيكلمه...، وبعضهم كان يحكي أن ابن منده كان إذا أشكل عليه حديث جاء إلى الحجرة النبوية، ودخل، فسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك فأجابه، وآخر من أهل المغرب حصل له مثل ذلك، وجعل ذلك من كراماته، حتى قال ابن عبدالبر لمن ظن ذلك: «ويحك! أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؟ فهل من هؤلاء من سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- وأجابه؟ وقد تنازع الصحابة في أشياء فهلا سألوا النبي -صلى الله عليه وسلم- فأجابهم، وهذه بنته فاطمة تنازع في ميراثه، فهلا سألته فأجابها؟»[1].

قال الشيخ محمد الخضر الشنقيطي -رحمه الله-: «الظاهر أن عدم وقوعه لفاطمة: دليل قطعي؛ لأنه لو كان يُرى لرأته، إذ لا أحد أولى منها بذلك، ولو وقع لها، أو لغيرها، لنُقِل متواترًا، لما له من الدواعي التي توجب نقله متواترًا، كما وقع في حديث رؤيته منامًا، وهذا أولى منه بذلك» اهـ[2].

وقال الدكتور صادق سليم -حفظه الله تعالى-:

«فعدم حصولها لصحابته -صلى الله عليه وسلم-، وهم أخصُّ الناس به، وأولاهم، بل هم أرفع الناس قدرًا، وأجلُّهم رتبةً، وأحرص الأمة على الخير، فعدم حصولها لهم؛ لهو من أقوى الأدلة على حرمان غيرهم منها؛ لو كانت ممكنة الوقوع؛ فكيف وهي مستحيلة شرعًا وعقلًا؟! وليت شعري!! فلو كانوا يعلمون بإمكانها: لودَّ أحدهم لو أنه خرج من ماله، ووأهله، ومن الدنيا بأسرها؛ ليحظى برؤية الحبيب -صلى الله عليه وسلم-، وبمكالمته،

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/٤٠٧).
(٢) «مشتهى الخارف الجاني» ص(٩٢).

ومحادثته، ولو برهةً من الزمن؛ مهما قلَّت[1]. فكيف يُحْرَم منها هؤلاء الأجلَّة، ويستطيعُها من اتَّضعتْ رُتْبَتُهُم، وانحطَّتْ درجتُهم، من أولياء الصوفية المزعومين، الذين هم عند أصحابهم: قد بان شأوهم، وعلتْ منزلتهم؛ على خير الناس بعد الأنبياء، حتى أتعبوهم، وأعجزوهم، وسبقوهم؛ وهم قعودٌ!!»[2].

ثانيًا: إن ما وقع لهؤلاء الشيوخ هل ثبت عنهم أنه كان يقظة أو منامًا؟ وإذا ثبت أنه كان يقظة، فهل ثبت عنهم بسند صحيح يوثق به؟ وإذا ثبت أنه كان يقظة بسند صحيح يوثق به، فهل هم معصومون من تلبيس الشيطان عليهم؟

كل هذه الأسئلة لا نجد الجواب عليها!!

ثالثًا: إن رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته لم تُنقل عن أحد من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير من المصطفى -صلى الله عليه وسلم-.

إذ كيف يظهر -صلى الله عليه وسلم- للمفضول ولا يظهر للفاضل؟ وقد حدثت حوادث كانت الحاجة فيها إلى ظهوره شديدة جدًّا[3] لو كان ذلك ممكنًا؛ منها:

١- اختلاف المهاجرين والأنصار -رضي الله عنهم- على الخلافة، وقد

(١) وفي حديث أنس -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «وددت أني لقيتُ إخواني»، فقال أصحابه: «أوليس نحن إخوانك» قال: «أنتم أصحابي، ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني» [السلسلة الصحيحة: رقم (٢٨٨٨)]، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «مِن أشد أمتي لي حُبًّا، ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله» [السلسلة الصحيحة: رقم (١٤١٨)].

(٢) «المصادر العامة للتلقي عند الصوفية» ص(٣٢٦).

(٣) انظر: «الفكر الصوفي» ص (٤٧٤) وما بعدها.

بقي النزاع بينهم مستمرًّا ثلاثة أيام، حتى شغلهم ذلك عن دفن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلو ظهر لهم وأخبرهم بأن الخليفة أبو بكر الصديق -رضي اللَّه عنه- لانقطع النزاع، فكيف لا يظهر في اليقظة لأفضل الناس بعده في أمر مهم؟

٢- اختلاف أبي بكر -رضي اللَّه عنه- مع فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- على الميراث، واشتداد حزنها على أبيها -صلى الله عليه وآله وسلم- بعد وفاته.

٣- جمع أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي اللَّه عنه- المصحف الشريف، يقول فيه الألوسي -رحمه اللَّه تعالى-: «وليت شعري! لِمَ كان عثمان يطلب شاهدين من كل من أتاه بآية يشهدان على أنها من القرآن، وهلا رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة، وسأله عن تلك الآية، وهو وسائر الصحابة أحق ممن ذكر بهذه الفضيلة»[1].

٤- ما وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة، وعلي بن أبي طالب من جهة أخرى، حتى وقعت حرب الجمل، فقُتل فيها خلق كثير من الصحابة.

٥- خلاف على -رضي اللَّه عنه- مع الخوارج، وما وقع بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- من النزاع[2].

ففي كل هذه الحوادث لم يُرْوَ أن النبي -صلى الله عله وسلم- ظهر لأصحابه يقظة؛ ليفصل بينهم مع أنهم أصحابه، فكيف يظهر لمن دونهم منزلة وتقوى؟ واللَّه أعلم.

❁ ❁ ❁

(١) «غاية الأماني» (١/٢٢٥، ٢٢٦).

(٢) «شرح المواهب اللدنية» (٥/٢٩٥)، و«غاية الأماني في الرد على النبهاني» (١/٢٢٦).

دليلهم السادس

أن رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة قد صنف فيها وأثبتها علماء كثيرون كالإمام السيوطي[1]، وابن أبي جمرة، وابن مغيزل الشاذلي[2]، ويوسف بن إسماعيل النبهاني، وابن حجر المكي الهيتمي، والغزالي، وابن الحاج، والسبكي، والعفيف اليافعي، ونور الدين علي الحلبي[3].

---

(١) ألف السيوطي كثيرًا من الكتب المستقلة، بلغ عدد منها شهرة واسعة، ولكن بعض أعماله كراسات صغيرة، وبعضها ضعيف المحتوى، وقيل في محصوله: «إنه لا يقدم جديدًا، وإنما يتوفر على نقل ما وصله»، وقال مؤيدوه: «إنه عوض بذلك المسلمين عن الكتب التي ضاعت في الحروب والاضطرابات»، وقد جمع - رحمه الله - ما لا يتفق جمعه بسهولة، وانظر: «الخصومة في مهدية السودان» ص(٤٣).

«لقد ذهب السيوطي إلى القول برؤية النبي والملَك في اليقظة والمنام، وإلى أنه رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- أكثر من سبعين مرة، وصحح عليه الأحاديث، وهذا أيضًا ألَّب العلماء عليه، ويقال إنه رجع في النهاية عن معتقده الصوفي وهاجمه، ولكن الذي انتشر عنه هو ما كان في محيط التصوف ودعاوى أهله». اهـ. من «الخصومة» ص(٤٢).

وقد ألف السيوطي كتابه «تنوير الحلك بإمكان رؤية النبي والملَك» رَدَّ به على منكري رؤيته -صلى الله عليه وسلم- بعد وفاته في اليقظة، وقال فيه الألوسي: «وكل ما أتى به لا دليل فيه»، إلى أن قال: «والسيوطي- رحمه الله- كان فيما ألفه من الكتب حاطب ليل، في كل كتاب له مذهب ومشرب، وما أتى به في كتابه هذا لا يُعول عليه». اهـ. من «غاية الأماني» (٥١/١).

ومن خصائص التصنيف عند السيوطي أنه يجمع عددًا وافرًا من الأحاديث والآثار في الباب، مع بيان مصادر الروايات، ولكنه يجمعها محذوفة الأسانيد دون أن يبين درجتها من الصحة أو الضعف إلا قليلًا، وهذه الطريقة للجمع- وإن كانت حسنة للعلماء والباحثين؛ لأنها تدلهم على المصادر، وبإمكانهم البحث عن أحوالها، لكنها -في الوقت نفسه- تُلحق ضررًا كبيرًا بالعامة، لأنهم لا يجدون في أنفسهم ملكة للبحث والتحقيق، فيتلقاها الناس من بعده، وتنتشر الروايات الواهية، فيصدقها الناس كأنها لا تحتمل النقاش، وانظر «المهدي المنتظر» للبستوي ص(١٢٩، ١٣٠).

(٢) وكتابه: «الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة».

(٣) وكتابه: «تعريف أهل الإسلام والإيمان بأن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- لا يخلو منه مكان ولا زمان»

قال السيوطي - بعد أن ذكر حديث البخاري: «مَن رَآني في المَنَامِ فَسَيَرَانِي في اليَقَظَةِ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي»، وبعضَ النقول عن بعض العلماء - قال: «فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- حي بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض والملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته، لم يتبدل منه شيء، وأنه مغيب عن الأبصار كما غُيِّبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم، فإذا أراد اللَّه - تعالى - رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها، لا مانع من ذلك، ولا داعي للتخصيص برؤية المثال»[1].

وقال الغزالي - بعد أن مدح الصوفية، ووصفهم بأنهم خير خلق اللَّه -: «حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتهم، ويقتبسون منهم فوائد، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة والأمثال إلي درجات يضيق عنها نطاقُ النطق»[2]. اهـ.

* **المناقشة:**

هذا الدليل مردود من وجهين:

١- أن اللَّه - سبحانه وتعالى - حينما بعث نبيه -صلى الله عليه وسلم- أنزل عليه القرآن، وآتاه الحكمة؛ فحدَّ الحدود، وبيَّن الشرائع والأحكام، فما دلت الشريعة المطهرة على إثباته أثبتناه، وما دلت على نفيه نفيناه، وما اختُلِفَ فيه رُدَّ إلى كتاب اللَّه وسنَّة رسوله -صلى الله عليه وسلم- إذ هما المرجع في هذا الباب؛ قال اللَّه - سبحانه وتعالى -: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية [النساء: ٥٩]، ولم يمت النبيُّ -صلى الله عليه

---

(١) «الحاوي للفتاوى» (٤٣٥/٢).

(٢) «المنقذ من الضلال» ص (٣١)، وانظر: «أبو حامد الغزالي والتصوف» للشيخ عبد الرحمن دمشقية (١٥٩- ١٧٨).

وسلم- إلا وقد أكمل الله به الدين، وأتم به على عباده النعمة؛ كما قال عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ولم يرد في القرآن شيء يدل على رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا، وكذلك لم يرو شيء في السنَّة المطهرة، وأما الحديث السابق فقد بيَّنَّا آنفًا بطلان الاستدلال به على رؤيته -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته، ووجه الحق فيه، والله أعلم.

٢- إن الله - تَعَالَى - قد حفظ كتابه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقد عصم الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- فلا يُبَلِّغ عن ربه إلا الحق: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

وكلام العلماء يُؤْخَذُ منه ويُرَدُّ، مهما بلغت منزلتهم علمًا وتقوى وورعًا، فهم مقيدون بالكتاب والسنَّة؛ إذ هما المِحَكُّ؛ فما وافقهما قُبِلَ، وما خالفهما رُدَّ، وعبارات العلماء في هذا المعنى كثيرة.

وهناك كثير من العلماء الأجلاء الذين لهم باع طويل في خدمة كتاب الله وسنَّةِ رسوله -صلى الله عليه وسلم- ومع ذلك لم يسلموا من الزلل، والأمثلة على ذلك كثيرة في باب العقائد، وفي باب الفروع، فكان ماذا؟!.

❁ ❁ ❁

خلاصة الكلام في الرؤية اليقظيَّة

الراجح في مسألة رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا في ضوء ما تقدم من الأدلة والمناقشة: أنه -صلى الله عليه وسلم- لا يُرى يقظة، ومن رأى ما يوهم ذلك فإنه من تلبيس الشيطان - لعنه الله - ولا يرد عليه حديث: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ بِي».

فإن الشيطان كما أخبر -صلى الله عليه وسلم- لا يتمثل به، لكن الشيطان يخبر قرينه بخبر كاذب؛ كما فعل ذلك مع الجيلاني[(١)].

وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (وقد ثبت في الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي حَقًّا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي»[(٢)]. فهذا في رؤية المنام؛ لأن رؤية المنام تكون حقًّا، وتكون من الشيطان، فمنعه الله أن يتمثل به في المنام، أما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا)[(٣)]. اهـ.

وقال شيخ الإسلام - أيضًا -: «وأما في اليقظة فمن ظن أن أحدًا من الموتى يجيء بنفسه للناس عِيانًا قبل يوم القيامة؛ فمِن جهله أُتي»[(٤)].

وقال - رحمه الله -: «وكل من قال: إنه رأى نبيًّا بعين رأسه، فما رأى إلا خيالًا»[(٥)].

---

(١) انظر: «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني (٥/٢٩٨)، وقد تقدم ذكر خبر الجيلاني ص(٥١، ٥٢).

(٢) رواه البخاري (١٢/٣٨٣- فتح)، ومسلم (١٥/٢٦- شرح النووي).

(٣) «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» ص (٢٩، ٣٠).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٣/٩٤).

(٥) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ص (١٣٨).

وقد يتعلق قلب المحِب بالمحبوب تعلقًا شديدًا، وتستولي صورته على قلبه، حتى إنه ليتصوره ويتخيله كأنه يراه، فيظن أنه حقيقة، وما هو إلا وهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يحصل تمثُّلٌ، وتخَيُّلٌ لبعض العالِمِين، والمُحِبِّين؛ حتى يتخيَّل صورة المحبوب، وقد لا يحصل تخيُّلٌ حسِّيٌّ، وليس هذا المثل من جنس الحقيقة أصلًا...»[1].

وقال ابن الجوزي - رحمه اللَّه تعالى-:

«من ظن أن جسد رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- المودعَ في المدينة خرج من القبر، وحضر في المكان الذي رآه فيه، فهذا جهل لا جهلَ يُشبهه.

فقد يراه في وقتٍ واحدٍ ألفُ شخص، في ألف مكان، على صور مختلفة، فكيف يُتصور هذا في شخص واحد»[2].

وقد سبق أن ذكرنا قول القرطبي[3] في استحالة رؤيته -صلى الله عليه وسلم- يقظةً بعد موته.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «وشذ بعض الصالحين؛ فزعم أنها تقع بعين الرأس حقيقة»[4].

والأدلة على عدم إمكان رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد موته في اليقظة كثيرة، أشرنا إلى كثير منها في المناقشة، ونلخصها فيما يلي:

١- أن رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة من باب العقائد، والعقائد مبنية على التوقيف، فلا يُجزَم بنفي شيء أو إثباته إلا بدليل يصح الاعتماد

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٢/٣٨٣).
(٢) «صيد الخاطر» ص(٥٣٤).
(٣) تقدم ص(٢٧، ٢٨)، وانظر: «زاد المسلم» (٣/١٨٧).
(٤) انظر: «فتح الباري» (١٢/٣٨٤).

عليه، ولم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل علي إثباتها، ولم يدَّعِهَا أحد - فيما نعلم - من الصحابة -رضي الله عنهم-، ولا من التابعين ولا من أتباعهم، وهذا من أدلة الاستدلال عند أهل الأصول، وهو ما يعرف عندهم: «بانتفاء المَدْرَك».

أما حديث: «فَسَيَرَانِي فِي اليَقَظَةِ»، فقد بيَّنَّا كلام العلماء على هذه الرواية، ووجه الحق فيها.

٢- أن رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا مستحيلة شرعًا وعقلًا، وقد سبق بيان ذلك.

٣- أنه قد حدثت حوادث خطيرة في صدر الإسلام كانت الحاجة فيها إلى ظهوره -صلى الله عليه وسلم- شديدة جدًّا، ومع ذلك لم يذكر أحد أنه -صلى الله عليه وسلم- رُئِيَ يقظة، فكيف يظهر للمفضول، ولا يظهر للفاضل؟!

فمن قال: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- يُرى يقظة بعد موته في الدنيا، فقد أتى بقول يُدْرَكُ فساده بأوائل العقول، قال القسطلاني في «المواهب اللدنية»: «وبالجملة، فالقول برؤيته -صلى الله عليه وسلم- بعد موته بعين الرأس في اليقظة يُدْرَكُ فساده بأوائل العقول؛ لاستلزامه خروجه من قبره، ومشيه في الأسواق، ومخاطبته للناس، ومخاطبة الناس له...» إلخ[1].

❁ ❁ ❁

(١) «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني (٥/٣٥٩).

فَصـــلٌ
فِيمَـا يَـدَّعِي الصوفية تَلَقِّيَـهُ عَـنِ النَّبِيِّ ﷺ بَعـدَ مَوتِهِ يَقَظَةً

يزعم الصوفية عامة والتجانيون منهم خاصة أنهم يرون النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة، -وإضافة إلى ذلك- يزعمون أنهم يستفتونه ويسألونه عن أمور دينهم ودنياهم، ويتلقون منه الأوراد، ويصحح لهم الأحاديث، فيعملون بذلك[1]، وفيما يلي بعض النصوص الدالة على ذلك:

أولًا: تفسير آيات القرآن الكريم

قد يدَّعي أحدهم أخذ تفسير بعض الآيات عن الرسول -صلى الله عليه وسلم؛ كما جاء في كتاب الإبريز للمطي، أنه سأل شيخه عبد العزيز الدبَّاغ، عن معنى قوله الله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]. فقال له الدباغ «... لا أفسر لكم الآية، إلا بما سمعت من النبي -صلى الله عليه وسلم-، يذكره لنا في تفسيرها بالأمس...»[2]، ثم هذي بكلام؛ ينبغي الإضراب عنه.

---

(١) ولا شك أنه يترتب على هذه الدعاوى آثار خطيرة لأنها تفتح باب تحريف الدين والابتداع فيه على مصراعيه، وكأن القوم لم يسمعوا قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية [المائدة: ٣]، بل تفتح باب الفتن وإراقة الدماء كما تراه واضحًا في سيرة المهدي السوداني وغيره ممن حاولوا إضفاء الشرعية على بدعهم وتسويغ أفعالهم بأنها تأتي استجابة لتكليف مباشر من الرسول -صلى الله عليه وسلم- في زعمهم.

(٢) «الإبريز» ص(١٥٠).

ثانيًا: الحكم على الأحاديث وتلقيها منه -صلى الله عليه وسلم- شفاهًا

قال ابن عربي: «... ومن كان من الصالحين؛ ممن كان له حديث مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في كشفه، وصَحِبَهُ في عالم الكشف والشهود، وأخذ عنه: حُشر معه يوم القيامة... ولا يلحق بهذه الدرجة، صاحبُ النوم، ولا يسمَّى صاحبًا... حتى يراه وهو مستيقظ... ويصحح له من الأحاديث، ما وقع فيه الطعن من جهة طريقها...»[1].

وجاء في «بغية المستفيد» «... عن الشيخ أحمد الزواوي[2] كان يقول: طريقنا أن نكثر من الصلاة عليه -صلى الله عليه وسلم- حتى نصير من جلسائه، ونصحبه يقظة مثل أصحابه، ونسأله عن أمور ديننا، وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا، ونعمل بقوله فيها»[3]. اهـ.

وذهب تلميذه الشعراني إلى أن الأمر إن لم يقم عليه دليل من كتاب، أو سنة، أو إجماع، أو قياس؛ فإنه يُنظَرُ: إن استحسنه أحدُ العلماء، ثم يستأذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في العمل به. ثم يواصل الشعراني قائلًا: «ثم لا يخفى: أن الاستئذان لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يكون بحسب المقام الذي فيه العبد، حال إرادته الفعل؛ فإن كان من أهل الاجتماع به -صلى الله عليه وسلم-، يقظةً، ومشافهةً -كما هي مقام أهل الكشف-: استأذنه كذلك، وإلا استأذنه بالقلب، وانتظر ما يُحْدِثُهُ اللهُ تعالى، في قلبه من استحسان الفعل، أو الترك»[4].

---

(١) «الفتوحات المكية» (٣/٥٠).

(٢) المتوفي سنة (٩٢٣هـ)، وهو شيخ الشعراني.

(٣) «بغية المستفيد» ص(٧٩).

(٤) «لواقح الأنوار القدسية» ورقة (٩).

وقال علي الخوَّاص: «لا ينبغي لفقير أن يروي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثًا، إلا إن كان له علامة يعرف بها أن ذلك من كلام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ إمَّا من طريق النقل، وإمَّا من طريق سؤاله للنبي -صلى الله عليه وسلم-، عن ذلك الحديث، وقوله: هو من كلامي؛ يقظةً، ومشافهةً، وهذا كله فيما كان ضعيفًا من طريق النقل. أما ما صح من طريق المحدثين، أو استُحسن؛ فلا يحتاج إلى سؤاله -صلى الله عليه وسلم- فيه...»[1].

وروى مؤلف «جواهر المعاني» عن شيخه التجاني قال:

رأيته مرةً -صلى الله عليه وسلم-، وسألته عن الحديث الوارد في سيدنا عيسى - عليه السلام - قلت له: ورد عنك روايتان صحيحتان، واحدة قلت فيها: «يَمْكُثُ بَعْدَ نُزُولِهِ أَرْبَعِينَ، وقلت في الأخرى: سَبْعًا، ما الصحيحة منهما؟» قال -صلى الله عليه وسلم-: «رواية السبع»[2].

وقال أبو المواهب الشاذلي: رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسألته عن الحديث المشهور: «اذكروا الله حتى يقولوا: مجنون»، وفي صحيح ابن حبان: «أكثروا من ذكر الله حتى يقولوا: مجنون»[3]، فقال -صلى الله عليه وسلم-: «صدق ابن حبان في روايته، وصدق راوي اذكروا الله، فإني قلتهما معًا، مرة قلت هذا، ومرة قلت هذا»[4].

(١) «لواقح الأنوار القدسية» ورقة (٢٦٦).
(٢) «جواهر المعاني» (١/٥٥).
(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣/٦٨)، وابن حبان (٣/٩٩ - إحسان) رقم (٨١٧)، وإسناده ضعيف لضعف دراج في روايته عن أبي الهيثم، وصححه الحاكم (١/٤٩٩)، وقال الذهبي في غير موضع عن دراج: «إنه كثير المناكير»، وانظر: «مجمع الزوائد» (١٠/٧٥، ٧٦).
(٤) «الطبقات الكبرى» للشعراني (٢/٧٠).

ومثل هذا ما قاله ابن حجر الهيتمي: «وقد حُكي عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه، فروى ذلك الفقيه حديثًا، فقال له الولي: هذا الحديث باطل، قال: ومن أين لك هذا؟ قال: هذا النبي -صلى الله عليه وسلم- واقف على رأسك، يقول: إني لم أقل هذا الحديث، وكُشِف للفقيه فرآه»[1].

ومثله ما حكاه الشعراني: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- زار جلال الدين السيوطي في بيته يقظة لا منامًا، وأنه جعل يقرأ الأحاديث بين يديه -صلى الله عليه وسلم- وهو يسمع.

قال الشعراني: «أخبرني الشيخ سليمان الخضيري قال: بينا أنا جالس في الخضيرية على باب الإمام الشافعي - رضي اللَّه عنه - إذْ رأيت جماعة عليهم بياض، وعلى رؤوسهم غمامة من نور، يقصدونني من ناحية الجبل، فلما قربوا مني فإذا هو النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، فقبَّلت يده، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «امض معنا إلى الروضة»، فذهبت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى بيت الشيخ جلال الدين، فخرج إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقبَّل يده، وسلَّم على أصحابه، ثم أدخله الدار، وجلس بين يديه، فصار الشيخ جلال الدين يسأل النبي -صلى الله عليه وسلم- عن بعض الأحاديث، وهو -صلى الله عليه وسلم- يقول: هاتِ يا شيخَ السُّنة»[2].

(١) «الفتاوى الحديثية» ص(٢١٧).
(٢) «الطبقات الصغرى» للشعراني ص(٢٨، ٢٩).

ثالثًا: تلقي الأحكام الشرعية والفتاوى

فقد ادعي أحمد التجاني أنه سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما تقول فيمن يعطي الزكاة للملوك؟» فقال -صلى الله عليه وسلم-: «أنا أمرتهم بطاعتهم»، فقلت له: «فمن يقدر على منعها منهم، ولا يخاف من شرهم، وأعطاها لهم على هذا الحال؟» فقال -صلى الله عليه وسلم-: «من فعل هذا؛ فعليه لعنة الله»[1].

وقال أيضًا: «سألت سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: هل أذكر الاسم الأعظم بالتيمم للمرض إذا أصابني، ولم أقدر على الوضوء؟ قال لي: لا، إلا أن تذكره بالقلب دون اللسان»[2].

رابعًا: تلقي الأوراد والصلوات.

قال مؤلف «جواهر المعاني» عن الصلاة المسماة «بياقوتة الحقائق»: «هي من إملاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من لفظه الشريف على شيخنا يقظة لا منامًا»[3].

- وجاء في ترجمة أحمد بن إدريس أنه قال: «أملي عليَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الأحزاب من لفظه»[4].

- ومثله دعواهم أن أحمد بن إدريس، تلقَّى تهليله المعروف بـ«لا إله إلا الله، محمد رسول الله، في كل لمحة، ونَفَس، عددَ ما وسعه علمُ الله» من الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وأنه قال له: خزَنتُها لك يا أحمد، ما سبقك بها أحد، علِّمها أصحابك، يسبقون بها الأوائل»[5].

(١) «جواهر المعاني» (٢/٢٠٤).
(٢) «نفسه» (٢/١٢٤).
(٣) «نفسه» (٢/٢٢٨).
(٤) «المنتقى النفيس» ص (٩، ١٠).
(٥) «نفسه» (١١، ١٢).

وادَّعوا أن رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم-، قال لأحد العارفين، في شأن هذه الهيللة: «لو أن أحدًا يقول: لا إله إلا الله؛ وأمدَّ اللهُ في عمره من لدن آدم، إلى النفخ في الصور، وآخر قال هذه الصيغة مرةً واحدة: لفضلت بها، بما لا نهاية...»[1].

- وقالوا عن أوراد أحمد التجاني -شيخ الطريقة التجانية-: «أما أوراده -رضي الله عنه- التي تُلَقَّن لكافة الخلق؛ الذي رتبة له سيد الوجود، وعَلَم الشهود -صلى الله عله وسلم-[2]، وأنشدوا في ذلك:

أوراده من رسول الله قد رُويتْ ... كذلك أفعاله والسرُّ مأثور[3]

ومن تلك الأوراد التي أملاها الرسول -صلى الله عليه وسلم- لأحمد التجاني- كما زعموا- صلاة «جوهرة الكمال»، التي جاء في فضلها ما يلي:

قال محمد سعد الرُّباطابيُّ: «وأما جوهرة الكمال فهي من إملاء رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- لسيدنا الشيخ - رضي اللَّه عنه - يقظة لا منامًا، فمن فضلها: أن المرة الواحدة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات بشرط الطهارة المائية، وأن من لازمها كل يوم سبع مرات يحبه النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- والخلفاء الأربعة يحضرون مع الذاكر عند السابعة منها، ولا يفارقونه حتى يفرغ من ذكرها»[4].

٣- ويقول التجاني عن فضل صلاة «الفاتح لما أُغلِق»: «لما أمرني -صلى الله عليه وسلم- بالرجوع إليها سألته عن فضلها؟ فأخبرني أن

(١) «نفسه» ص(٣٥).
(٢) «جواهر المعاني» (١/١٠٢).
(٣) «نفسه» (١/١١٣).
(٤) «شروط وأحكام أوراد الطريقة التجانية» ص(٢٥).

المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانيًا أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر، ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة[1] لأنه من الأذكار»، «وأنها من كلام الله تعالى»[2].

ومن المزاعم السخيفة: أن «حزب البحر» هو مما أملاه الرسول -صلى الله عليه وسلم-، على أبي الحسن الشاذلي[3].

وجاء في كتاب «بهجة الأسرار»: «أن النبي -صلى الله عليه وسلم-، علم خليفة النهرملكي دعاءًا، واستغفارًا؛ أوله: «اللهم إن حسناتي من عطائك، وسيئاتي من قضائك...»[4].

خامسًا: تلقي فضائل الأوراد المزعومة

- قال أحمد بن إدريس عن بعض أحزابه التي ادعى أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أملاها عليه:

«... فإنه لم يُسمع بمثلهما في أحزاب الأوائل من المشايخ الذين سبقوا، وقد تعجب الأنبياء عند سماعها؛ مثل الخليل وغيره -صلوات الله وسلامه عليهم-، وقد عظم سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمرهما تعظيمًا عظيمًا...»[5].

- وادعى محمد بن عثمان الميرغني -شيخ الطريقة الختمية (ت: ١٢٦٨هـ)- أن من خصائص قراءة النظم المسمى بـ«البراق» أنه ما قُرِئ في

(١) انظر: «جواهر المعاني» (١/١١٤-١١٧).
(٢) انظر: «رماح حزب الرحيم» (٢/١٤٨).
(٣) «جواهر المعاني» (١/١٢٦).
(٤) «بهجة الأسرار» ص(١٠٢).
(٥) «المنتقى النفيس» ص(١٠).

محلٍّ، إلا وتُشاهَدُ فيه روحانية المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، وروحانية النبيين، والصِّديقين، بالخصوصية، وأن النبي -صلى الله عليه وسلم-، بشَّره بحضوره عند قراءته، وأن من واظب على قراءته ولو بيتًا واحدًا: يُنشدُه بين يديه في الجنة[1].

- أما الصلاة المسماة عندهم بـ«العظيمية» فقد ادعَوْا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال في شأنها: «إن المرة الواحدة منها؛ بقدر الدنيا والآخرة، وما فيهما: أضعافًا مضاعفة»[2].

- وادعى التجاني أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال في شأن الصلاة المخترعة المسماة بـ«الفاتح لما أُغلِق»: «الفاتحُ لما أُغلق... أمرٌ إلهيٌّ؛ لا مدخل فيه للعقول؛ فلو قُدِّرتْ مائةُ ألف أُمّة، في كل أُمةٍ؛ مائة ألف قبيلة، في كل قبيلة؛ مائة ألف رجل، وعاش كل واحد منهم؛ مائة ألف عام؛ يذكر كل واحد منهم في كل يوم، ألف صلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم-، من غير صلاة الفاتح... وجميع ثواب هذه الأمم كلها، في مدة هذه السنين كلها، في هذه الأذكار كلها: ما لَحقوُا كلهم ثوابَ مرة واحدة من صلاة الفاتح...»[3].

❁ ❁ ❁

(١) «مناقب صاحب الراتب» ص(١٠١).
(٢) «المنتقى النفيس» ص(٥٣).
(٣) «جواهر المعاني» (١/١١٧).

إبطال العلامة محمد الخضر الشنقيطي

مجازفاتِ أحمد التجاني في شأن صلاة الفاتح

لقد جازف التجاني الجاني في شأن هذه الصلاة المخترعة المبتدعة حتى افترى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه أخبره: أن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، وقال: «ثم أخبرني ثانيًا: أن المرة الواحدة منها: تعدل كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكْر، ومن كل دعاءٍ؛ كبير، أو صغير، ومن القرآن: ستة آلاف مرة؛ لأنه من الأذكار»[1].

قال الدكتور صادق سليم صادق: «وهذا من الكذب الصريح؛ فالأخذ عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، يقظةً بعد موته: باطلٌ، ومُحالٌ؛ عقلًا، وشرعًا، وقائل هذا القول، له حال شيطاني؛ أوحى إليه شيطانه بهذا الهراء، أو يكون من الكذابين الدجالين، الذين لا يتورعون عن نسبة مثل هذا البهتان، إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-»[2].

وقد اشتد نكير العلامة الشيخ محمد الخضر الشنقيطي -رحمه الله- على هذا الافتراء، فقال: «فانظر كيف يجوز لعاقل، مسلم، أن ينسب لله تعالى، كلامًا لم ينزل وحيٌ به، على نبي معصوم، ويعتقد أنه من كلامه تعالى؟! فهذا من تخبط الجنون... وكيف يصحُّ له أن يفضل صلاةً مُختَرَعةً من مخلوقٍ، على كلام الله تعالى، فضلًا عن أن يجعلها تعدِلُ ستةَ آلافٍ منه؟! فأيُّ استخفافٍ وتحقيرٍ لكلام الله تعالى، مثل هذا؟! أمَا كفاه نسبتها إلى الله تعالى، وجعلها من القرآن؛ حتى تجاوز إلى هذه البشاعة؟!

(١) «جواهر المعاني» (١/ ١١٤).

(٢) «المصادر العامة» ص(٣٨٠).

فحيث إنَّ تَعَمُّدَ الكذب على النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال بعض[1] العلماء: إنه كفرٌ، كما يأتي؛ يكون تعمّد الكذب على الله تعالى، كفرًا، اتفاقًا...»[2].

ثم نقل عن بعض أهل التفسير، ما يدل على أن افتراء الكذب على الله، من خاصة أهل البدع والكفر، ثم قال: «وأصرح من هذا كله؛ في خصوص هذا الرجل المُشَرِّع، قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، فإن هذه الآية نصٌّ في جميع مقالات هذا الرجل المتنوعة، بأنواع الافتراء؛ فكلها داخلٌ تحت هذه الآية»[3].

ثم ساق عن جمع من المفسِّرين، كلامًا في معنى الآية المتقدمة، وقال عقيبه: «فقد بان لك من كلام جميع المفسرين؛ شمول الآية لكل من نسب إلى الله تعالى، شيئًا لم يكن في شريعته؛ سواء نسبه إليه بادِّعاء وحي أو غيره؛ مثل ما فعل هذا الرجل المفتري، في نسبته جميع ما صدر منه -من شريعته المخترعة- إلى الله تعالى؛ طَوْرًا بواسطة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فكل ما كان صادرًا من النبي -صلى الله عليه وسلم-: كان صادرًا من الله تعالى؛ ومنسوبًا إليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾- وطوْرًا يصرِّح بنسبته إلى الله تعالى، بدون واسطة منه -صلى الله عليه وسلم-... فلا أظنه إلا مدَّعيًا للنبوة؛ مستترًا عن الناس بنسبة مقالاته إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ مخافة أن يطلع على

(١) هو الشيخ أبو محمد الجويني، لكن ضعَّفه ابنُه إمام الحرمين ومَن بعده، ومال ابنُ المنير إلى اختياره، والجمهور على أنه لا يُكفرَّ إلا إذا اعتقد حِلَّ ذلك- وانظر: «فتح الباري» (١/٣٥٤- ط. دار طيبة).

(٢) «مشتهى الخارف الجاني» ص(٢٥٣).

(٣) «نفسه» ص(٢٥٦).

حقيقته، ولا يروج كذبه...»[1].

ومن جملة ما قرره في الرد على هذه الفرية، وعلى صاحبها: «أن زعمه بتفضيل (صلاة الفاتح لما أُغلق) على القرآن بستة آلاف مرةً؛ هو استهزاءٌ بالقرآن، وتحقير له؛ لا تفضيل عليه، ولو قال قائل: إن القرآن أفضل من هذه الصلاة المخترعة؛ لكان ذلك تنقيصًا بالقرآن الكريم، فكيف لو عكس القول؟!.

ثم إن كلامه في المفاضلة بين هذه الصلاة المكذوبة، وبين القرآن، ليس هو من باب التفضيل الحقيقي. وبيانُ ذلك: أن التفضيل في غير مقام التهكُّم؛ لا بُدَّ فيه من مشاركة المفضول للفاضل في أصل الفضل؛ فلا يقال: فلانٌ أعلم من الحمار؛ إلا على وجه التهكم؛ وحينئذ لا يكون المقصود؛ بيان الزيادة، بل الغرض -حينئذٍ- التشريك في أمر معلوم انتفاؤه عن الحمار.

وكلام هذا الرجل؛ من باب التهكم، لا من باب التفضيل الحقيقي -الذي المشاركة فيه في أصل الفضل: شرطٌ- وإيضاح ذلك: هو أنه لو صح ما قاله هذا الرجل، من أن صلاة الفاتح تعدل ستة آلاف مرة من القرآن؛ فأيُّ فضلٍ للقرآن معها؟ وأيُّ فائدة فيه مع وجودها؟! فكيف يشتغل عاقلٌ به، ويختمه في ليال عديدة؛ وهو يجد هذه الصلاة المخترَعة، التي بإمكانه أن يقولها في طرفة عين؛ ويحصل له من الأجر ما يفوق أجر تلاوة القرآن آلاف المرات؟ فاشتغالُ العاقل بتلاوة القرآن، مع وجود هذه الصيغة: عَبَثٌ؛ لوجود ما هو أيسر وأفضل؛ بشيء لا ينتهي.

فعلى كلامه: لم يبق للقرآن فضل مع صلاة الفاتح البتة؛ فآل كلامه إلى التهكم؛ لأن مدار التهكم؛ على عدم المشاركة في أصل الفضل؛ وعلى كلامه: لم يبق للقرآن بالنسبة لها، فضلٌ تحصل فيها المشاركة»[2].

(١) «نفسه» ص(٢٥٧).
(٢) «نفسه» ص(٢٦١، ٢٦٢).

سادسًا: تلقي فضائل مشائخهم ومن يتبعهم

- فمن ذلك أن أحمد التجاني ادَّعى أن الرسول -صلى الله عليه وسلم-، قال له: «... بعزة ربي، يوم الاثنين، ويوم الجمعة: لم أفارقك فيهما؛ من الفجر إلى الغروب، ومعي سبعة أملاك، وكل من يراك في اليومين؛ يكتب الملائكة اسمه في رقعة من ذهب، ويكتبونه من أهل الجنة؛ وأنا شاهد على ذلك»[1].

- وادعى أن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أعطاه صيغًا عديدة من اسم الله الأعظم، وخصَّه بالاسم الأعظم الخاص بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، بل منحه الاسم الأعظم الخاص به -صلى الله عليه وسلم-، وزعم أن هذا الفضل خاص به؛ لم يُعط لأحد غيره[2].

- ومن افتراءاته قوله: «...وأن سيد الوجود؛ ضمِن لنا، أن من سبَّنا، وداوم على ذلك، ولم يتب: لا يموت إلا كافرًا...»[3].

- وادعى أنه: «... سأل سيدَ الوجود، وعَلَمَ الشهود -صلى الله عليه وسلم في كل نفس مشهود- عن نسبه، وهل هو من الأبناء والأولاد، أو من الآل والأحفاد؟ فأجابه -صلى الله عليه وسلم- بقوله: (أنت ولدي حقًّا)، كررها ثلاثًا -صلى الله عليه وسلم-، وقال: (نسبك إلى الحسن بن علي صحيح)، وهذا السؤال من سيدنا -رضي الله عنه- لسيد الوجود يقظة لا منامًا، وبشره -صلى الله عليه وسلم- بأمور عظام جسام صلى الله عليه، وسلَّم، وشرَّف، وكرَّم، ومجَّد، وعظَّم»[4].

(١) «جواهر المعاني» (١/ ١١٢).
(٢) نفس المصدر (١/ ٥٧).
(٣) نفسه (١/ ١١٢).
(٤) نفسه (١/ ٣٠، ٣١).

ومن مجازفات هذا المفتري، في الثناء على نفسه؛ ما جاء في مكتوب أرسله إلى بعض إخوانه؛ يقول فيه: «. . . وأقول لكم: إن مقامنا عند الله في الآخرة: لا يصله أحدٌ من الأولياء، ولا يقاربه؛ لا مَن صغُر، ولا مَن كبُر، وإن جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور؛ ليس فيهم من يصل مقامنا، ولا يقاربه؛ لبُعد مرامه عن جميع العقول، وصعوبته مسلكًا على أكابر الفحول. ولم أقُل لكم ذلك؛ حتى سمعته منه -صلى الله عليه وسلم-، تحقيقًا. ليس لأحدٍ من الرجال أن يُدخِلَ كافةَ أصحابه الجنةَ، بغير حساب، ولا عقاب؛ ولو عملوا من الذنوب ما عملوا، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا: إلا أنا وحدي، ووراء ذلك مما ذكر لي فيهم، وضمنه -صلى الله عليه وسلم- لهم: أمرٌ لا يحل ذكْرُه، ولا يُرى، ولا يُعرف إلا في الآخرة»[1].

- أما أحمد بن إدريس: فقد ادعى أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال له:

«من انتمى إليك؛ فلا أَكِلُه إلى وَلاية غيري، ولا إلى كفالته، بل أنا وليه وكفيله»[2].

وحشد الصيادي الرفاعي حشدًا هائلًا من الأكاذيب في شأن طريقة أحمد الرفاعي، والانتساب إليه:

- منها دعواه أنه قال للرسول -صلى الله عليه وسلم-:

«إني أرى عنايتك بالطريقة الرفاعية، أكثر من عنايتك بغيرها؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: هي طريقتي الخاصة، من الطريق الخاص!! في السلوك

(١) «نفسه» (٢/١١٦).
(٢) «المنتقى النفيس» ص(٧٣).

الأخص!! على الوجه المخصوص!! وأنا أحب السيد أحمد الرفاعي؛ ومَنْ أَحَبَّهُ»[1].

وادعى: أنه رأى الرسول -صلى الله عليه وسلم- على شاطئ النهر؛ فطلب منه أن يدله على الطريق، فقال له: «. . . تمسَّك بولدي: أحمد الرفاعي؛ وتصل إلى الله؛ فهو سيد أولياء أمتي بعد أولياء القرون الثلاثة، وأعظمهم منزلة. . . وأحمد الرفاعي؛ قطبُ أهل بيتي، وخزانة فقهي وحِكَمِي، وصندوق أذواق أحوالي، وتحف علمي، وأنت قطب أهل بيته، ولك مني عطية: أن لا يخزي الله من أحبك، واتبعك في طريقك. . .»[2].

وفي ترجمة محمد عثمان الميرغني، أنه كان يقول: «. . . قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: من صحبك ثلاثة أيام؛ لا يموت إلا وليًّا. . . ، قال لي جَدِّي: من قَبَّل جبهتك فكأنما قبَّل جبهتي، ومن قبَّل جبهتي: كانت الجنة مأواه، ومن رآني، أو رأى من رآني، إلى خمسٍ: لم تمسَّه النار!! قال لي به جَدِّي -عليه أفضل الصلاة والتسليمات الزكية-. . . ما قلتُ في جُلِّ صلاتي: السلام عليك أيها النبي؛ إلا قال لي: وعليك السلام، أيها الابن الطاهر، الزكي، الأوَّاه»[3].

ومن كذباته: أنه كلما قدم المدينة النبوية؛ لزيارة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، يقول له: «من زارنا في سَنَتِكَ هذه، والتي قبلها، والتي بعدها: قبلناه، وحُطَّتْ عنه الخطية»[4].

ومن أشباه هذه الأفيكة، التي تروِّج لها طائفة النقشبندية؛ قول محمد

(١) «بوارق الحقائق» ص(٢١٥).
(٢) نفسه ص(٢١٢، ٢١٣).
(٣) «مناقب صاحب الراتب» ص(١٠٢، ١٠٣).
(٤) نفسه ص(١٠٣).

المعصوم النقشبندي (ت:١٠٩٩هـ): «دخلتُ المدينة المنورة؛ فلما وقفتُ تلقاء الوجه الأوجه؛ رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم-، قد خرج من الحجرة المطهرة؛ وعانقني؛ وحصل لي لحوقٌ خاص به...»[1].

وقال أبو العباس المرسي الشاذلي -مشيرا إلى يده-: «...والله ما صافحتُ بهذه اليد، إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-»[2].

❁ ❁ ❁

(١) «المواهب السرمدية» ص(٢١٢)، و«الأنوار القدسية» ص(١٩٦).

(٢) «لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن» ص(١٧٠).

التعليق على دعاوى الصوفية

فيما يزعمون تَلَقِّيَهُ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

١- لو سلمنا جدلًا - وهو محال - أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يُرى يقظة، فالحق أنه لا عمل إلا بالكتاب والسنة، والسنة هي ما أضيف إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصف، وما ادعاه التجانيون من الإخبار عن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته، فليس داخلًا في تعريف السنَّة، فلا يمكن أن يسمى حديثًا مرفوعًا، ولا موقوفًا، ولا مرسلًا، ولا مضطربًا، ولا شاذًّا.

قال محمد الخضر الشنقيطي: «فإن كانت مرفوعة متصلة الإسناد، كما يقول صاحب المنية:

وَكُلُّ مَا يُرْوَى فَعَنْ خَيْرِ الْوَرَى ... مُتَرْجَمٌ لَفْظُهُ بِالْأَمْرِ[1]

فعلى هذا يكون ما قالوه وحيًا مرويًّا عن النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ لقوله - تَعَالَى -: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]، ويكون هو صحابيًّا، والناقلون عنه تابعين، أو تكون غير مرفوعة متصلة الإسناد؛ لاستحالة وجود الصحابة في القرن الثاني عشر، فتكون مروية عن النبي -صلى الله عليه وسلم- مباشرة، وهذا غير معقول، اللهم، إلا أن يقولوا: إن شريعتهم لما كانت مخترعة غير داخلة تحت قانون شرعي، وجب أن يُخترعَ لها اصطلاح غير داخل في اصطلاح المُحَدِّثين»[2].

٢- إنه يشترط فيما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في حياته صحة

(١) «منية المريد» ص(٧).

(٢) «مشتهي الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني» ص (٤٤، ٤٥).

السند، وعدالة الرواة، فكيف برؤى لا نشك في بطلانها؛ لمخالفتها للأدلة النقلية والعقلية.

٣- إن اتصال النبي -صلى الله عليه وسلم- بالناس قد انقطع بوفاته؛ كما دل على ذلك الكتاب والسنَّة، فمن ذلك حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُون حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وأول من يُكْسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناسًا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيُقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبدالصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ - إلى قوله: ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾»[1] [المائدة: ١١٧، ١١٨].

قال الألوسي: «ومعني الجملتين: أني مادمت فيهم كنت مشاهدًا لأحوالهم؛ فيمكن لي بيانها، فلما توفيتني كنت أنت المشاهد لها لا غيرك، فلا أعلم حالهم، ولا يمكنني بيانها»[2].

ففي الحديث - كما ترى - تصريح بانقطاع الاتصال بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبين الناس بعد مماته.

وقال ابن القيم: «فالعلم اللدني نوعان: لدني رحماني، ولدني شيطاني، والمِحَكُّ هو الوحي، ولا وحي بعد رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم-»[3].

٤- وقد اختلف الأصوليون: هل يجوز للرسول -صلى الله عليه وسلم- تأخير البيان إلى وقت الحاجة، أوْ لا يجوز له ذلك؟ أما تأخير البيان إلى ما

---

(١) رواه البخاري (٦/٣٦٨، ٣٨٧- فتح)، ومسلم (١٧/١٩٤- نووي)، وراجع التعليق عليه في «حجية الرؤى وسلطان المنامات» ص(٧٨-٨٠).

(٢) «روح المعاني» (٧/٦٩).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/٢٦١).

بعد وفاته -صلى الله عليه وسلم- فلم يقل به عاقل فضلًا عن عالم مُنْصِفٍ يطلب الحق، ويتحرى الحقيقة.

٥- وسُئل الشيخ التجاني: «أيُكذَبُ عليك؟ قال: نعم، إذا سمعتم عني شيئًا فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فاعملوا به، وما خالف فاتركوه»[1].

قُلْتُ: وقد عرضنا ذلك على الكتاب والسنة، فبان بطلانه وبعده عن الحق؛ فوجب عليهم رده أخذًا بوصية شيخهم، كيف لا، وقد بان لهم الدليل؟[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) «الانتصاف» (١/الحلقة الثالثة) لمحمد الحافظ التجاني.

(٢) انتهى بتصرف من «التجانية: دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة» ص (١٢٥- ١٤٩)، للشيخ علي بن محمد الدخيل اللَّه- طبعة دار طيبة- الرياض.

تَنبيهَاتٌ:

الأوَّلُ: ذكر العلامة محمد حبيب اللَّه الشنقيطي - رحمه اللَّه - اختلاف العلماء في هذه المسألة، ومال إلى خلاف قول الجمهور، إلا أنه قال:

«إذا علمت ما قررناه من إمكان رؤيته -صلى الله عليه وسلم- في اليقظة كرامة لبعض خواص أكابر الأولياء...، فاعلم أن فائدة ذلك إنما تعود غالبًا على الرائي فقط، ولا يجوز أن يثبت بها حكم شرعي كائنًا ما كان ندبًا أو غيره من سائر الأحكام الشرعية، كما تعطيه قواعد الشرع المعلومة، وكما صرح به الأئمة؛ كالحافظ ابن حجر وغيره، فقد قال في «فتح الباري» بعد بحث طويل عند قوله - عليه الصلاة والسلام -: «وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي» ما نص المراد منه: «ومع ذلك فقد صرح الأئمة بأن الأحكام الشرعية لا تثبت بذلك»[1] اهـ.

وهذا كلام العلماء فيما يدعي النائم أنه أخذه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من أحكام النوم، مع ثبوت رؤيته -صلى الله عليه وسلم- في النوم بالأحاديث الصحيحة، فكيف بما يزعمون أنهم أخذوه عنه -صلى الله عليه وسلم- بعد موته في اليقظة مع أنها مردودة شرعًا وعقلًا كما تم بيانه.

الثَّاني: بحسب قلة علم الرجل يُضِلُّه الشيطان:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه -: «والمقصود أن الصحابة - رضوان اللَّه عليهم - لم يطمع الشيطان أن يضلهم كما أضل غيرهم من أهل البدع الذين تأولوا القرآن على غير تأويله، أو جهلوا السنة، أو رأوا وسمعوا أمورًا من الخوارق فظنوها من جنس آيات الأنبياء والصالحين، وكانت من أفعال الشياطين... فأهل الهند يرون من يعظمونه من شيوخهم الكفار وغيرهم.

(١) «زاد المسلم» (٣/١٨٧).

والنصارى يرون من يعظمونه من الأنبياء والحواريين وغيرهم.

والضُّلَّال من أهل القِبلة يرون من يعظمونه، إما النبي -صلى الله عليه وسلم- وإما غيره من الأنبياء يقظة، ويخاطبهم ويخاطبونه، وقد يستفتونه ويسألونه عن أحاديث فيجيبهم، ومنهم من يخيل إليه أن الحجرة قد انشقت، وخرج منها النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعانقه هو وصاحباه...

وأعرف ممن وقع له هذا وأشباهه عددًا كثيرًا، وقد حدثني بما وقع له في ذلك، وبما أخبر به غيره من الصادقين من يطول هذا الموضع بذكرهم... لكنْ كثير من الناس يكذِّب بهذا، وكثير منهم إذا صدَّق به يظن أنه من الآيات الإلهية، وأن الذي رأى ذلك رآه لصلاحه ودينه، ولم يعلم أنه من الشيطان، وأنه بحسب قلة علم الرجل يضله الشيطان»[1].

التنبيه الثَّالثُ: قال فضيلة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق -حفظه الله تعالى-: «ولو فرضنا جدلًا أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يمكن أن يعود بجسده الشريف أو روحه الطاهر -صلى الله عليه وسلم- ليلقى بعض المسلمين، فإننا نجزم أن لقاءه هذا سيكون لتعزيز شريعته التي بثها في حياته لا لهدمها، فنتصور مثلًا في مثل التجاني أن يقول: (لا تكن أنت وأتباعك عبيدًا للاستعمار الفَرَنْسِيِّ ولا خدمًا للكفار، وقوموا بنصرة الدين، وجاهدوا في سبيل اللَّه).

وأما أن يأتي النبي -صلى الله عليه وسلم- ليقول للتجاني: (أقطعتُكَ الجنة وأتباعك - ولو كانوا مجرمين فاسقين - وكل من رآك دخل الجنة، ولو كان كافرًا، وَأُمُرْ أتباعك أن يَدْعوك من دون اللَّه، ويشركوا باللَّه في كل شيء... فهل هذه هي المَهمة التي بقيت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الأرض؟! يا سبحان الله! كم يكذب هؤلاء على الله وعلى رسوله وهم لا يستحيون!»[2].

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/٣٩٠- ٣٩٢) بتصرف.
(٢) «الفكر الصوفي» ص(٣٦٠، ٣٦١) بتصرف.

الرَّابعُ: يدعي التجانية أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يؤمر بتبليغ كل ما علمه، وأن ما لم يُبَلِّغْهُ في حياته يبلغه بعد وفاته لمن يلقاه من الخواص، قال مؤلف «جوهر المعاني»: «وسألته - رضي اللَّه عنه -: هل خَبَرُ سيدِ الوجود بعد موته كحياته سواء؟ فأجاب - رضي اللَّه عنه - بما نصه: الأمر العام الذي كان يأتيه عامًّا للأمة طُوِيَ بساطُ ذلك بموته -صلى الله عليه وسلم-، وبقي الأمر الخاص الذي كان يلقيه للخاص، فإن ذلك في حياته، وبعد مماته دائمًا لا ينقطع»[1].

وقال مؤلف «الجيش الكفيل»: «فإذا تقرر هذا علمتَ ضرورة أنه -صلى الله عليه وسلم- لم يؤمر بتبليغ كل ما علمه، كيف وعنده علم الأولين والآخرين»[2]. اهـ.

وقال - أيضًا -: «وسئل: هل كان -صلى الله عليه وسلم- عالمًا بفضل صلاة الفاتح لما أغلق؟ فقال: نعم، كان عالمًا به، قالوا: ولِمَ لَم يذكره لأصحابه؟ قال: لعلمه -صلى الله عليه وسلم- بتأخير وقته، وعدم وجود من يظهره اللَّه على يديه في ذلك الوقت»[3]. اهـ.

فأين هؤلاء الظالمون المتعدون حدودَ اللَّه من قوله - تَعَالَى -: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية [المائدة: ٣]؟ وأين هم من قوله - تَعَالَى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ الآية [المائدة: ٦٧]؟ وأين هم من تبري عليٍّ - رضي اللَّه عنه - من أن يكون -صلى الله عليه وسلم- خصهم بشيء من العلم دون الناس، كما في حديث أبي جحيفه؟[4].

---

(١) «جواهر المعاني» (١/١٤٠).
(٢) «الجيش الكفيل بأخذ الثأر» ص (١١٠، ١١١).
(٣) «نفسه» ص (١١٠).
(٤) رواه البخاري، أرقام: (١١١)، (١٨٧٠)، (٣١٧٢)، وغيرها.

وإذا كان يلزم من كلام أولئك الضالين عدم انقطاع خبر السماء بوفاة رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- فلماذا قالت أم أيمن للشيخين -رضي الله عنهما-: «ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء»، فهيَّجَتْهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها[1]؟

وقد صح أن عمر - رضي اللَّه عنه - قال في بعض الأمور: «ليتني سألتُ رسولَ اللَّه -صلى الله عليه وسلم- عنه».

وأين هؤلاء من قول أم المؤمنين عائشة لمسروق - رحمه اللَّه -: «من حدثك أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- كتم شيئًا مما أنزل عليه، فقد كذب، واللَّه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾... الآية»[2].

وقال الإمام أبو محمد علي بن حزم - رحمه اللَّه -: «... واعلموا أن رسول اللَّه -صلى الله عليه وسلم- لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها، ولا أطلع أخص الناس به من زوجة أو ابنة عم أو ابن عم أو صاحبٍ على شيء من الشريعة كَتَمَهُ عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم، ولا كان عنده- عليه السلام - سر ولا رمز ولا باطن غير ما دعا الناس كلَّهم إليه، ولو كتمهم شيئًا لما بلَّغ كما أُمِر، ومن قال هذا: فهو كافر، فإياكم وكلَّ قول لم يبين سبيله، ولا وضح دليله، ولا تعوجوا عما مضى عليه نبيكم -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضي الله عنهم-»[3]. اهـ.

❁ ❁ ❁

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) رواه مسلم (١٦/ ٩، ١٠- شرح النووي).
(٢) رواه البخاري (٨/٢٧٥- فتح)، ومسلم (٣/٨، ٩- شرح النووي).
(٣) «الفَصْل» (٢/١١٦).

فهرس الموضوعات

الموضوع رقم الصفحة

المقدمة ٥

استدرج الشيطان الصوفية حتى أوقعهم في الغلو المذموم ٦

صور من غلو الصوفية في حق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ٦

بلغ الغلو مداه حين ادَّعَوْا أنهم يلقون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد وفاته، ويتلقون عنه العلوم، وذكر نصوص مشائخهم في ذلك ... ٨

هل رؤية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في زعم الصوفية كسبية أم وهبية؟

ذكر اختلافهم، واضطراب أقوالهم في ذلك ١٣

وسائل جلب واستدعاء الرؤية اليقظية عند من يقول إنها كسبية ١٣

للرؤية اليقظية -عند الصوفية- شروط وموانع ١٦

اضطراب الصوفية في اقتضاء رؤيته -صلى الله عليه وسلم- اليقظية مرتبة الصحبة ١٨

ذكر أدلة الصوفية ومناقشتها

الدليل الأول

استدلالهم بحديث: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة» الحديث ٢٠

أبطل المحققون استدلالهم بالحديث المذكور من وجوه:

الوجه الأول: بيان أن رواية: «فسيراني في اليقظة» مشكِلة، لمخالفتها لفظ رواية الجمهور ٢١

الوجه الثاني: تأويل العلماء للرواية المشكِلة ٢٣
الوجه الثالث: ذكر الأدلة على استحالة لقيا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد موته في الدنيا:
أولًا: الأدلة النقلية:
-من القرآن الكريم ٢٦
- من الأحاديث النبوية ٢٧
ثانيًا: الأدلة العقلية:
هذه الفرية مما يُدرَك فساده بأوائل العقول ٢٨
الوجه الرابع:
اضطراب مذاهب القوم في شأن رؤيته -صلى الله عليه وسلم- ٣٠

الدليل الثاني

استدلالهم بعموم قدرة اللَّه -تعالى- على كل شيء ٣٢
الجواب عن هذا الاستدلال ٣٤
ليس كل ممكنٍ يقع في الوجود ٣٤
إبطال استدلالهم على وقوعها بالتجويز العقلي ٣٧

الدليل الثالث

استدلالهم بحياة الأنبياء -عليهم السلام- في قبورهم،
ودعوى مفارقتهم لها في الدنيا ٣٨
أولًا: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، وجواب ذلك ٣٨

ثانيًا: استدلالهم بحديث: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون»، وحديث «أتيت على موسى... وهو قائم يصلي في قبره»، والجواب عنهما ٣٩
ثالثًا: استدلالهم بأحاديث فهموا منها خروج الأنبياء من قبورهم الخروجَ المعهود في الحِس، والجواب عن ذلك ٤٣
رابعًا: استدلالهم بحديث: «ما من أحد يُسَلِّم عليَّ إلا رَدَّ الله عليَّ روحي، حتى أردَّ عليه السلام»، والجواب عنه ٤٦

الدليل الرابع

زعمهم أن الاجتماع اليقظي بالنبي -صلى الله عليه وسلم- كرامة، والمنكِر لها مُنْكِرٌ لكرامات الأولياء الثابتة بالكتاب والسنة والآثار والعقل ٤٨
بيان أن هذا الدليل لا يَرِدُ على محل النزاع ٤٨
ذكر الفروق بين الكرامة والاجتماع اليقظي ٤٩
استدلالهم بقصة إحصار أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه- ٥٠
بيان أن الصحيح أن رؤية عثمان رؤيا منامية لا يقظية ٥١

الدليل الخامس

دعواهم أن الاجتماع اليقظي وقع لجمع غفير من سلف الأمة، والجواب عنها من وجوه: ٥٢
أولًا: يجب أن يحمل كلام الصالحين على أحسن المحامل إذا خالف الشرع والعقل ٥٢

قد يتمثل الشيطان للصالحين أو غيرهم، فيضلهم ويُلَبِّس عليهم ٥٣
ذكر جواب شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الدليل ٥٣
لم يظهر النبي -صلى الله عليه وسلم- لابنته فاطمة -رضي الله عنها-
ولا لأحد من الصحابة -رضي الله عنهم- رغم شدة حاجتهم لظهوره ٥٧
ثانيًا: هل وقع الاجتماع المزعوم يقظة أو منامًا؟
وما سنده إن كان يقظة؟ وإن كان السند صحيحًا؛
فالرواة ليسوا معصومين من تلبيس الشيطان عليهم ٥٨
ثالثًا: لم تُنقل الرؤية اليقظية عن أحد من أهل القرون الثلاثة الخيرية ٥٨
وقعت للصحابة حوادث كانت حاجتهم إلى ظهوره شديدة،
ولم يظهر لهم -صلى الله عليه وسلم- ٥٨

الدليل السادس

صنف كثير من العلماء كتبًا مفردة لإثبات الرؤية اليقظية ٦٠
نقد محتوى بعض مصنفات الإمام السيوطي -رحمه الله- ٦٠
لم يرد في القرآن ولا في السنة دليل على ثبوت الرؤية اليقظية ٦٢
القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله، والنبي -صلى الله عليه وسلم- معصوم،
أما كلام العلماء فيوزَن بهما، ويُقبل منه، ويُرَد ٦٢
خلاصة الكلام في الرؤية اليقظية ٦٣
نصوص المحققين النافين للرؤية اليقظية ٦٣
تلخيص الأدلة على عدم إمكان حصول الرؤية اليقظية ٦٤

فصل فيما يدعي الصوفية تلقيه
عن النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد موته يقظة

أولًا: تفسير القرآن الكريم ٦٦
ثانيًا: الحكم على الأحاديث،
وتلقيها منه -صلى الله عليه وسلم- شفاهًا ٦٧
ثالثًا: تلقي الأحكام الشرعية والفتاوى ٧٠
رابعًا: تلقي الأوراد والصلوات ٧٠
خامسًا: تلقي فضائل الأوراد المزعومة ٧٢
إبطال العلامة محمد الخضر الشنقيطي
مجازفات أحمد التجاني في شأن صلاة الفاتح ٧٤
سادسًا: تلقي فضائل مشائخهم ومن يتبعهم ٧٧
التعليق على دعاوى الصوفية
فيما يزعمون تلقيه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ٨١

تنبيهات

الأول: العلامة محمد حبيب الله الشنقيطي يميل إلى إمكان الرؤية اليقظية
لكنه يقطع بأنه لا يجوز أن يثبت بها أي حكم شرعي ٨٤
الثاني: بحسب قلة علم الرجل يُضِلُّه شيطانُه ٨٤
الثالث: لو فُرِض -جدلًا- أن يعود رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
فماذا كان سيقول للتجاني؟ ٨٥

الرابع: ادعاء التجانية أن الرسول -صلى الله عليه وسلم-
لم يؤمر بتبليغ كلِّ ما علَّمه الله،
وأنه يُبَلِّغ ما لم يُبَلِّغْه في حياته لمن يلقاه من الخواص بعد وفاته ٨٦
إبطال هذه الدعوى الفاجرة الكاذبة بأدلة القرآن والسنة ٨٦
الإمام ابن حزم يكفِّر من يدعي أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
كتم من الشريعة كلمة فما فوقها. . .إلخ كلامه ٨٧
فهرس الموضوعات ٨٩

تم بحمد الله